الإمام الرضا (عليه السلام) يقود الحياة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي
أعلى الله درجاته

منشورات
مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بالتعاون مع
مؤسسة الوعي الإسلامي / بيروت لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ ٢٠١١م

طبع بمساهمة
مؤسسة أبي الفضل العباس (عليه السلام) الثقافية
كربلاء المقدسة

مطبعة النجف الأشرف : حي عدن

الإمام الرضا (عليه السلام)
يقود الحياة

بِسْمِ اللّهِ الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

الحَمْدُ للّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ

الرّحْمـَنِ الرّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدّينِ

إِيّاكَ نَعْبُدُ وإِيّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضّآلّينَ

صدق الله العلي العظيم

كلمة المؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

يهتم الإسلام بالمجتمع، ويضع الأسس الثابتة التي يقوم عليها بنيانه، والخطوط العريضة التي تصون كيانه، وتحفظه من التصدع والسقوط.

إنه يربط المسلمين جميعاً بعضهم ببعض برباط هو أوثق الرباط، وهو رباط الأخوة الدينية التي تنمحي أمامها جميع الفوارق: من نسب عريق، ومال وفير، وجاه عريض، وغير ذلك من القوميات والعرقيات مما درج الناس على اعتباره مميزاً بعضهم عن بعض.

فأي إنسان، مهما كان عريق النسب، أو كثير المال، أو كان له شأن في بيئته، فهو أخ لمن دونه نسباً، وأقل منه مالاً، وأحط منه شأناً في المنزلة الاجتماعية.

وهذه الأخوة تكتسب بمجرد الدخول في دين الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ**﴾[1] فالقرآن يعلن أن المشركين وغيرهم من الكفار ينتظمون في سلك هذا الإخاء الديني بمجرد الدخول في الإسلام.

وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقاً، وليس هو مجرد وسام لا ثمرة له في الخارج، ولا أثر له في الواقع، بل هناك حقوق وواجبات والتزامات، فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأخيه، وأن يعتني بشأنه، ويسعى لقضاء حوائجه، والدفاع عنه، والذياد عن حياضه، والعمل على ترقية حاضره، وإعداده لمستقبل أعز وأكرم.

---

(١) سورة التوبة: ٥.

يقول الرسول الأكرم ﷺ: «إنما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر»[١].

ومن مظاهر هذا الاهتمام أن لا يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه وتنال منه، بل عليه أن يبذل له من ذات يده، وأن يدفع عنه كل أذى يصيبه، أو شرٍ يقع عليه.

ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه، ويصون حرمته، في حضوره وغيبته، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول الرسول الأعظم ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرئً مسلماً في موضع تنهتك فيه حرمته، وينتقض فيه من عرضه، إلاّ خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقض فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلاّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[٢].

ويقول ﷺ: «من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة»[٣].

ويقول ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»[٤]. فالمؤمن يبصر أخاه بعيوبه ويحافظ على ماله لو كان غائباً ويحوطه دفاعاً عنه.

وهكذا يمضي الإسلام في تقرير هذه الحقوق وإيجادها

---

(١) التبيان، الشيخ الطوسي: ج١ ص٣٢٣.

(٢) تفسير الثعالبي: ج٤ ص١٦٧.

(٣) انظر (وسائل الشيعة): ج١٢ ص٢٩٣ باب وجوب ردّ غيبة المؤمن ح٧، وفيه: عن الرسول الأعظم ﷺ: «من ردّ عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار».

(٤) انظر (مستدرك الوسائل): ج٩ ص٤٩ باب وجوب أداء حق المؤمن، وكذلك الكافي: ج٢ ص١٦٦ كتاب الإيمان والكفر باب إخوة المؤمنين بعضهم بعض ح٣.

لتكون دستوراً تلتقي الجماعة المسلمة عنده وتعتصم به.

فالإسلام لا يكون إسلاماً حقيقياً حتى تمتلئ به النفس، فيكون كل ما يصدر عنها إنما هو قبس من نوره الوضاء، وفيض من ينابيعه الصافية، مثله في ذلك مثل الطعام بالنسبة إلى الأجسام.

فهو يتفاعل داخل الجسم، ويتحول إلى قوى وطاقات ونشاط يظهر أثره ويبرز للعيان، وجملة التعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالي، والأدب الرفيع، وإشاعة الرحمة والبر والإحسان، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته، وبين هذا المعنى.

فكلها وسائل لصقل النفس وتهذيبها، وإقامتها على الصراط السوي، فالعقيدة من الإيمان بالله والتقديس له، من شأنها أن توقظ حواس الخير، وتربي ملكة المراقبة، وتبعث على طلب المعالي، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف[2] الأعمال.

والله سبحانه هو الكمال المطلق، والرحمة الواسعة، ولا يدخل في حظيرة قدسه إلاّ من تخلّق بأخلاقه واتصف بصفاته بقدر ما يمكن للمكن أن يتصف به.

وفي الأثر: «تخلّقوا بأخلاق الله»[3].

ولا يدع الإسلام أي ناحية من نواحي الخلق الحسن إلاّ ويدعو إليها بقوة، ويحث عليها بحماسة، ومقياس الإيمان الخلق، والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة وضمير حي، فكما يبدو

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢١٠ ب٩.

(٢) سفاسف الأمور: محقراتها.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٨ ص١٢٩ في حدّ الإنسان.

حسنه في الأمر الكبير، يتجلى كذلك في أصغر الأمور وإن كان يبدو في بدو الأمر أنه لا شأن له.

فالإحسان إلى المسيء خلق حسن، والابتسامة في وجه الصديق حسن كذلك، وإن النفس الفاضلة التي تنطلق على سجيّتها، لا تفرق بين هذا وذاك في أصل الحسن.

يقول الرسول الأكرم ﷺ : «لا تحقرنّ من المعروف شيئاً، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طليق وبشر حسن» [١].

ونار الله الموقدة التي هي شديدة الأوار، والتي وقودها الناس والحجارة ربما يطفئها نصف تمرة لمن لا يجد إلاّ ذلك، أو كلمة طيبة.

يقول الرسول الأعظم ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» [٢].

ولقد رأى النبي الأكرم ﷺ رجلاً يتقلب في الجنة في حجر ـ أو ما أشبه ـ رفعه من ظهر الطريق كان يؤذي المسلمين. [٣]

والإحسان هو غاية من الغايات التي يريد الإسلام أن يجعلها جزءً من الطبيعة الإنسانية بحيث يصدر الإنسان عنها في كل ما يأتي ويذر.

وإدخال السرور على الناس، والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال: «إدخال السرور على المؤمن، قيل: وما إدخال السرور

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٤٤ من أبواب فعل المعروف باب استحبابه وكراهة تركه ح٢٠.

(٢) غوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الاحسائي: ج١ ص٣٦٧ ح٦٥.

(٣) جامع السعادات: ج٢ ص١٦٧.

على المؤمن؟ قال: سدّ جوعته، وفك كربته، وقضاء دَينه»[1].

وهكذا يضع الإسلام الأسس المتينة لحياة راقية رفيعة، يمكن أن يكون عنوانها الحكمة النبوية الشريفة: «الناس عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»[2].

والحب في الله له مكان فسيح في القيم الإسلامية، والمتحابون يتبوءون منازل الكرامة، ويبلغون الدرجات العالية، فعن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون؟ بجلالي اليوم أظلهم في ظلي» [3].

وزيارة أخ في الله على محبة وشوق تستوجب محبة الله وكرامته وتدخل الجنة، قال النبي ﷺ: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد: أن طبتَ وطاب ممشاك، تبوأت من الجنة منزلاً» [4].

وقال النبي ﷺ: «وما تحاب اثنان في الله إلاّ كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه».

وسُمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتباذلين فيّ» [5].

---

(١) وردت روايات متعددة بنفس المضمون عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إن أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن، وشبعة مسلم أو قضاء دينه» انظر (المحاسن): ج٢ ص٣٨٨ كتاب المأكل من المحاسن، وفي الكافي: ج٢ ص١٩٢ باب قضاء حاجة المؤمن ح١٦ عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) انظر (جامع أحاديث الشيعة): ج١٣ ص٣٩٩ باب ما ورد من علامات المنافق.

(٣) الفصول المهمة في تأليف الأمة، السيد شرف الدين العاملي : ص١١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة: ج١٢ ص٦٢٥ باب استحباب زيارة المؤمنين.

(٥) مشكاة الأنوار، الشيخ علي الطبرسي: ص٣٦٤ الفصل الثامن: في التزاور والهجرة.

وقد طبق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هذا على نفسه، وكان آله الطاهرون عليهم السلام المتأسين به.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً» (١). وهذه صورة من عظمته النفسية.

أليس هو عليه السلام القائل: «إنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً»(٢).

نعم إنه عليه السلام كان يشعر بعمق أنه من طينة غير طينة هؤلاء الذين لصقت بالمادة أنفسهم، إن الرجل الذي يجرؤ على قول الحق لأكبر من الدنيا، وقد قال الإمام عليه السلام: «ما ترك لي قول الحق من صديق».

فالذي يريد الدنيا يراوغ وينافق، والإمام علي عليه السلام لم يكن من هذا الطراز ولا لحظة.

لقد كان همه عليه السلام ما ينفع الناس، لأنه كان يؤمن بالآخرة إيماناً حقيقياً، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ**﴾ (٣).

ولهذا كان عليه السلام أكبر من الدنيا، وأسمى من المطامع، وقد زالت عن الناس دنياهم وهلكت مطامعهم، وبقي ذكر الإمام عليه السلام خالداً، تنحني له الجباه وتعظّمه الشفاه.

ومن هذا المنطلق سجل العبقري الفذ، والعَلَم الفرد، آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي قدس سره في كتابه الذي بين أيدينا: (الإمام الرضا عليه السلام يقود الحياة) وسائر كتبه التي فاقت الألف .. كثيراً من الدروس العالية والثمينة، والعلمية والأدبية،

---

(١) نهج البلاغة: من خطبة له عليه السلام في الدهر وأهله قبل البعثة وبعدها وتعديد أعماله.

(٢) شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني: ج٦ ص١٥١ باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام.

(٣) سورة الرعد: ١٧.

والتاريخية والأخلاقية المستفادة من مدرسة النبوة والعترة الطاهرة عليهم السلام، مع جودة البيان وسهولة التعبير وبديع الأسلوب ودقة وتحقيق، فجاء ممثل كيان سلفه الطاهر بنبوغه الظاهر.

نسأل المولى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يكثر في علمائنا الأعلام أمثاله، وأن يوفق الأمة للاستفادة من علومه، فهي مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتعاليم العترة الطاهرة المباركة عليهم السلام.

الناشر

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

المذهب، والقيادة، والحكومة.. ثلاثة عوامل مهمة، بها يتم تعمير البلاد، ويؤمّن رفاه العباد ورقيّهم، وإذا دار الأمر أحياناً بين تقديم العاملَين الأولَين أو تقديم العامل الثالث، فإن هذين العاملين مقدمان، لأنهما يشكلان أساس الحكومة، أما الحكومة فليس من شأنها أن تشكل أرضية يستند إليها المذهب أو القيادة.

وقد شاءت إرادة الله تعالى أن تكون هذه العوامل الثلاثة على طول التاريخ، وحتى يوم القيامة متوفرة وموجهة للمجتمعات الإنسانية.

ولأجل هذا اصطفى الباري عزوجل الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام.

وقد وصل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام إلى السلطة، ليريا الناس الحكومة المثالية الجديرة بالإتباع باعتبارهما أسوة.

وبقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام قد بذلوا كل جهودهم لبيان (المذهب) وتوضيح (القيادة) حتى يوجهوا البشرية على طول التاريخ، فإن الناس منعوهم من حقهم في الحكم.

وفي الوقت ذاته ربى الأئمة عليهم السلام أبناءهم وشيعتهم السائرين على خطاهم على الجهاد في سبيل الله ونشر الوعي والثقافة الإسلامية والوقوف بوجه الظلم، وقد سجل التاريخ لهم مواقف بطولية متميزة في مختلف الأدوار.

وهذا الكراس (الإمام الرضا عليه السلام يقود الحياة) يتعرض

بشكل مختصر لبعض الجوانب المشرقة من حياة هذا الإمام العظيم، حتى نستطيع أن نقتبس من أشعة شمسه وفيض وجوده المبارك.

ونأمل أن يقع مورداً لقبول الله سبحانه بلطفه، وأن ينال رضا الإمام الرضا عليه السلام. ﴿.. **يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ..**﴾ [1].

والله الموفق المستعان.

قم المقدسة
محمد الشيرازي

(١) سورة يوسف: ٨٨.

المذهب الحق

يلزم على الأمة الإسلامية أن تأخذ (المذهب) من العترة الطاهرة عليهم السلام وترضى بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام (قادة)، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى بهم مراراً، وقرنهم صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب العزيز تكراراً، وأمر بإتباعهم والأخذ عنهم، وجعلهم قدوة لأولى الألباب، وسُفُن النجاة، وأمان الأمة، وباب حِطّة، وحذر عن التخلف عنهم ...

كما وردت هذه المضامين في المأثور من السنن المعتبرة والنصوص الصريحة على ما رواه الفريقان.

فقد أهاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأمة وصرح في المجتمع فنادى: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» [1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما»[2]. ويكفي في فضل العترة الطاهرة عليهم السلام أن

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: ج٥ ص٣٢٨ في مناقب أهل البيت عليهم السلام عن جابر، ونقله عنه المتقي الهندي في كنز العمال: ج١ ص١٢٧ في أول باب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكذلك رواه القندوزي في ينابيع المودة: ج٢ ص٢٥٣ في المناقب السبعين في فضائل أهل البيت عليهم السلام عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا أيها الناس إني تركت فيكم الثقلين خليفتي إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي وهم أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

(٢) الروايات الدالة على وجوب التمسك بالثقلين الكتاب والعترة متواترة، وطرقها من بضع وعشرين صحابياً وأكثر، وقد صدع بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف شتى، تارة يوم غدير خم،

يكونوا عند الله وعند رسوله ﷺ عِدل القرآن الكريم وبمنزلة الكتاب المبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكفى بذلك حجة تأخذ بالأعناق إلى التعبد بمذهبهم، فإن المسلم لا يرتضي بكتاب الله بدلاً، فكيف يبتغي عن عدله حولاً.

ورسول الله ﷺ يطلب من الأمة الإسلامية ـ بأمر من الله سبحانه ـ أجر رسالته المحصور في المودة في القربى[1].

وفي حديث مشهور متواتر يقول ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»[2].

وقد عينّ رسول الله ﷺ وبأمر من الله سبحانه وتعالى، خلفاءه من بعده، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام ألاثني عشر، فجعل ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام ولي عهده، وخليفته من بعده، ووليه في الدنيا والآخرة، آثره على سائر أرحامه وأصحابه، وأنزله منه منزلة هارون من موسى ولم يستثن من جميع المنازل إلا النبوة، وقد أوضح رسول الله ﷺ الأمر فجعله جلياً بقوله: «إنه لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي»[3].

وتارة يوم عرفة في حجة الوداع، وتارة بعد انصرافه من الطائف، ومرة على منبره في المدينة، وأخرى في حجرته المباركة في مرضه، وبمحضر من أصحابه، ومن كتب القوم التي روت هذا الحديث: مسند أحمد: ج٣ ص١٤عن أبي سعيد الخدري، فضائل الصحابة، للنسائي: ص١٥ في فضائل علي عليه السلام عن زيد بن أرقم، المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري: ج٣ ص١٠٩ في وصية النبي ﷺ في كتاب الله وعترة رسوله، مجمع الزوائد، للهيثمي: ج٩ ص١٦٣ باب فضائل أهل البيت عليهم السلام وغيرها عشرات المصادر.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ سورة الشورى: ٢٣.

(٢) هذا الحديث متواتر لفظاً ومعنى، انظر (الفصول المهمة في أصول الأئمة) للحر العاملي: ج١ ص٤٤٩ باب١١٨.

(٣) هذه العبارة هي جزء من حديث المنزلة الذي رواه الشيعة والسنة، روى أحمد في مسنده: ج١

وهذا نص صريح في كون الإمام علي عليه السلام خليفته صلى الله عليه وآله وسلم ، مضافاً إلى سائر الأدلة ومنها (حديث الغدير) المتواتر[1]. كما ثبت في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[2].

وقد سجّل لنا التاريخ تعاقب الأئمة عليهم السلام من أهل البيت، فسجل مواقفهم وأدوارهم في إدارة البلاد والعباد، في الأمور العقائدية والجهادية والسياسية وغيرها، واحداً تلو الآخر، فكان يؤدي كل واحد منهم عليه السلام دوره ومسؤوليته، وينهض بأعباء الدين في عصره، ويحمل الراية ليسلمها للإمام الذي يليه.

والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هو ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام فهو فرع دوحة النبوة، والإمام من أهل البيت في

ص٣٣١ في مسند عبد الله بن عباس: خرج (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس في غزوة تبوك فقال له علي عليه السلام: أخرج معك؟ فقال له نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا، فبكى علي عليه السلام فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون في موسى إلا أنك لست بنبي إنه لا ينبغي أن اذهب إلا وأنت خليفتي. رواه كذلك الحاكم النيسابوري في مستدركه: ج٣ ص١٣٣، والهيثمي في مجمع الزوائد: ج٩ ص١٢٠ باب النظر إليه عليه السلام وغيرها من المصادر.

(١) حديث الغدير هو الحديث الذي نص على ولاية وخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، روى الشيخ الصدوق في الأمالي: ص٥٠ بسنده عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم، لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: يا أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال له عمر: بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾.

ومن مصادر العامة التي روت الحديث بألفاظ قريبة من هذا: فتح الباري، ابن حجر: ج٧ ص٦١ باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي، المصنف لابن أبي شيبة: ج٧ ص٤٩٥ في فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وغيرها.

(٢) سورة المائدة: ٦٧.

زمانه، وقد عاش عليه السلام مع أبيه أربعة وعشرين عاماً، ومضى بعد التاسعة والأربعين عاماً من عمره الشريف، أي بعد خمسة وعشرين عاماً من استشهاد أبيه عليه السلام.

وهو عليه السلام حجة الله على الأرض، فعلى الناس أن يتبعوه ويجعلوه إماماً يقتدون به ويأخذون عنه[1].

(١) لأنه عليه السلام من عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الثقل الثاني الذين يجب التمسك بهم حسب نص حديث الثقلين المتواتر بين الشيعة والسنة.

عهد هارون العباسي

كان أهل البيت عليهم السلام أكثر الناس إرهاقاً وظلامة تحت كابوس الحكم العباسي الظالم، فقد سفك حكام بني العباس دماء أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وأذاقوهم أشدّ أنواع الظلم والاضطهاد.

.. وفي هذا الجو الإرهابي الفظيع، عاش الإمام الكاظم عليه السلام والد الإمام الرضا عليه السلام .. فكان له النصيب الأوفر من ذلك الإرهاب العنيف، حيث المراقبة والتضييق والاعتقال والسجن والتعذيب، وفي النهاية القتل ..

فهارون كان يتوجس خيفة من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ـ مضافاً إلى الحسد والحقد ـ وهذه الهواجس كانت تدفعه إلى الشك أحياناً، وكان هناك من الشياطين من يجعل الشك عنده يقيناً بالتزوير والدس اللئيم، فكان هارون يرسل على الإمام عليه السلام العيون والجواسيس، لأرصاد تحركاته وحتى كلماته التي كان يلقيها في حلقات درسه، كما كان يتحسس على جميع تصرفاته لأنه كان يعتبره أهم منافس له في حكمه.

ولما اجتمعا[1] أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هارون: (السلام عليك يا بن العم يا رسول الله)، وكان يريد أن يبين للناس أحقيته بالخلافة لأنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فردّ الإمام الكاظم عليه السلام عليه بقوله: «السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله»[2]، فحسده هارون

---

(١) أي الإمام الكاظم عليه السلام وهارون العباسي.

(٢) روى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج: ج٢ ص١٦٧ أنه: لما دخل هارون المدينة، توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الناس، فقدم إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا بن العم، مفتخراً بذلك على غيره. فتقدم أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إلى القبر فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه» فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه.

وحمله معه إلى بغداد، وحبسه مقيداً فلم يخرج من حبسه إلاّ شهيداً بالسمّ ودُفن بالجانب الغربي من بغداد[1].

والإمام الرضا عليه السلام ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام هو وارث أبيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، وهو الذي قاد حياة الإمامة من بعده.

ولقد تحمّل الإمام الرضا عليه السلام مسؤولية الإمامة في هذه الفترة الرهيبة، فحياته عليه السلام تمثل مرحلة سياسية وتاريخية بارزة في تاريخ الإسلام، وكان له دور هام في قيادة الأمة.. ففي عصره تفجرت ثورة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا[2]..

---

(١) يقول القندوزي في ينابيع المودة: ج٣ ص١٦٥ الباب ٦٥ : توفي (رضوان الله عليه) في الحبس يوم الجمعة لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وعمره خمس وخمسين، ودفن بالجانب الغربي من بغداد بمقابر قريش.

(٢) من الثورات التي قامت ضد الحكم العباسي هي ثورة محمد بن إبراهيم طباطبا الحسني وأبي السرايا وهو السري بن المنصور من بني ربيعة، سنة ١٩٩هـ حيث خرج أبو السرايا يدعو إلى محمد بن إبراهيم طباطبا ولم يسمه بل أظهر الدعاء إلى الوصي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وخرج إلى الأبصار فقتل العامل بها وأتى ابن طباطبا محمد بن إبراهيم، ◄ ►وكان في حبس هارون العباسي وكانت فتنة في حينها ففتحت السجون وخرج ابن طباطبا فيمن خرج إلى ناحية الرقة مع محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر، وكان معه في الحبس، وكان محمد قد سار إليها يدعو إلى نفسه، فمات قبل أن يصل إليها ووصل محمد بن إبراهيم طباطبا فحاول الدعوة إلى نفسه بها فلم يمكنه، فصار إلى الكوفة واستتر بها إلى أن دخل أبو السرايا فبايعه، وقام يدعو الناس إليه واستجاب له خلق كثير، وأقبل بهم وأخذوا واسط الكوفة ، وأظهر أمر محمد بن إبراهيم طباطبا العلوي وسار بهم حتى دخل إلى نهر صرصر ، فأرسل حسن بن سهل بن خالد في عسكر إليهم فالتقوا بهم ، فلم يصنعوا شيئا، فبعث الحسن بن سهل إلى هرثمة وأرسله إليهم والتقى بهم فهزمهم، واتبعهم إلى قصر ابن هبيرة وقتل منهم خلقا كثيرا وأدخلوا الكوفة ومات محمد بن إبراهيم طباطبا العلوي، وأقام أبو السرايا مكانه فتى من

ثم ثورة محمد الديباج[1] بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، ثم ثورة علي بن محمد الديباج[2]، كما ثار في عهده إبراهيم بن

العلويين يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين، ولم يزل هرثمة يقاتلهم حتى ضعفوا وهرب أبو السرايا، ثم توجه هرثمة إلى المأمون وهو بخراسان، فظفر بعد ذلك بأبي السرايا والعلوي الذي كان قد أقامه فقتل أبا السرايا وحمل العلوي إلى خراسان.

(١) محمد الديباج: هو محمد بن الإمام الصادق عليه السلام المعروف بالديباج لحسن وجهه ويلقب بالمأمون ويكنى أبا جعفر، أمه أم ولد تدعى حميدة (أم الإمام الكاظم عليه السلام) وكان شيخا وادعا محببا في الناس وكان يروي العلم عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام، وكان رجلا شجاعا عاقلا فاضلا يصوم يوماً ويفطر يوماً، خرج داعياً إلى محمد بن إبراهيم بن طباطبا الحسني، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا محمد الديباج إلى نفسه وبويع له بمكة بالخلافة، وفي سنة ٢٠٠ هـ حج المعتصم بالناس فوقع القتال بين الديباج ومن معه وبين هارون ابن المسيب من قواد المعتصم، واستمر القتال حتى حوصر الديباج في ثبير (جبل بمكة) فبقي محاصراً ثلاثة أيام حتى نفد زادهم وماؤهم وجعل أصحابه يتفرقون ، فلما رأى ذلك طلب الأمان لنفسه ولمن معه فأعطي ذلك ثم غدر به وبهم فحملوا الجميع مقيدين في محامل بلا وطاء يريدون بهم خراسان، فخرج عليهم بنو نبهان وقيل الغاضريون وذلك في زبالة فاستنقذوا الديباج ومن معه من أيدي العباسيين بعد حرب شعواء، ثم مضى الديباج ومن معه بأنفسهم إلى الحسن بن سهل في بغداد فأنفذهم إلى خراسان حيث المأمون.

(٢) هو علي بن محمد الديباج المعروف بالخارصي: كان بالبصرة أيام أبي السرايا، فلما جاء زيد النار بن الإمام الكاظم عليه السلام إلى البصرة خرج إليه علي الخارصي وأعانه، وقيل: كان علي بن محمد بن جعفر قد اتفق رأيه ورأي أبيه محمد الديباج على الخروج في سنة ٢٠٠هـ، واختار علي بن محمد أن يظهر بالأهواز واستصحب ابن الأفطس وهو الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وابن عمه زيد بن موسى الكاظم عليه السلام فلما ظفر أصحاب المأمون بمحمد بن جعفر الديباج علم أن الأمر له، فخرج من البصرة وخلف زيد بن موسى، وتوفي علي بن محمد ببغداد وقبره بها.

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام [1] وغيرهم من العلويين والشيعة ..

ويستظهر أن المحرّك والموجّه والمخطّط والمؤيّد لمثل هذه الثورات كان عميد أهل البيت وإمامهم علي بن موسى الرضا عليه السلام ، نعم بحسب الظاهر كان الإمام عليه السلام بنفسه مشغولاً عنها، وتلك هي السياسة الحكيمة التي اتبعها الإمام عليه السلام .

وقد تناولنا في كتاب (الفقه: السياسة) بعض الثورات العلوية والانتفاضات الشيعية، وكيف كان الأئمة الأطهار عليهم السلام من ورائها.

وفي الرواية: إن الإمام الرضا عليه السلام بعد شهادة أبيه دخل السوق، فاشترى كلباً وديكاً وكبشاً، فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون، قال: (قد أمنا جانبه) وكتب الزبيري: أن علي بن موسى الرضا عليه السلام قد فتح بابه ودعا إلى نفسه، فقال هارون: (واعجباً من هذا يكتب أن علي بن موسى قد اشترى كلباً وكبشاً وديكاً، ويكتب إليّ ما يكتب[2].

ولعل الإمام الرضا عليه السلام قصد من شرائه الكلب والديك والكبش، إظهار أنه لا علاقة له بسياسة هارون، فالكلب للحفظ، والديك لإعلام مطلع الفجر، والكبش للرزق، وهذا موهم أن الإمام عليه السلام لا خادم له ولا مال، فكيف يُتّهم بأنه تجتمع لديه المال والعسكر؟

الاهتمام بشؤون الأمة

ثم إن الإمام الرضا عليه السلام بالإضافة لتوليه شؤون أهل بيت النبوة في المدينة المنورة، كان يهتم بمشاكل الأمة، ويسعى

---

(١) إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو إبراهيم الأكبر وأمه أم ولد النوبية اسمها نجيبة، ظهر باليمن أيام أبي السرايا ففتحها وأقام فيها مدة إلى أن انقلب أمر أبي السرايا فأخذ إبراهيم الأمان من المأمون، وبقي ببغداد حتى مات مسموماً في أوائل سنة ٢١٠هـ.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٢٢٢ باب دلالات الرضا عليه السلام ح٤.

لتوعيتها وتثقيفها، فكان له نشاطه التعليمي المكثف. ولقد حقق غايته المتوخاة، حيث استقطب الإمام عليه السلام خلال تلك الفترة طلاب المعرفة الإسلامية، وخلق نواة مدرسة فكرية مميزة، تخرّج فيها قمم فكرية وقادة رأي ورواة ومحدثون وفقهاء.

كأحمد بن محمد البزنطي[1]..

ومحمد بن الفضل الكوفي[2]..

وعبد الله بن جندب البجلي[3]..

وإسماعيل بن سعد الأشعري[4]..

وحسن بن علي الوشاء[5]..

ومحمد بن سليمان الديلمي[6]..

وحسن بن سعيد الأهوازي[1]..

---

(١) احمد بن محمد البزنطي: ذكره البرقي في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام الذين أدركوا الإمام الرضا عليه السلام، ثقة جليل عندهما، له كتاب جامع، قال العلامة في خلاصته: كان له اختصاص بأبي الحسن الرضا عليه السلام وأبي جعفر عليه السلام، أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عنه وأقروا له بالفقه، مات (رحمه الله) سنة ٢٢١ هـ.

(٢) محمد بن الفضل الأزدي الكوفي، ذكره العلامة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وقال عنه: ثقة. ثقة.

(٣) عبد الله بن جندب البجلي، عربي كوفي، ثقة، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، روي الكشي أن أبا الحسن عليه السلام أقسم أنه عنه راض ورسول الله صلى الله عليه وآله والله تعالى عنه راضيان، وقال فيه أبو الحسن عليه السلام: إن عبد الله بن جندب لمن المخبتين.

(٤) إسماعيل بن سعد الأحوص الأشعري القمي، ثقة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، ذكره البرقي في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

(٥) الحسن بن علي بن زياد الوشاء، بجلي كوفي، قال أبو عمرو: ويكنى بأبي محمد الوشاء، من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وكان من وجوه هذا الطائفة.

(٦) محمد بن سليمان الديلمي البصري، من أصحاب الإمامين الكاظم الرضا عليهما السلام، له كتاب.

وإبراهيم بن محمد الهمداني[٢]..

وريان بن شبيب[٣]..

وغيرهم[٤].

وقد كان الإمام عليه السلام مرجع الأمة في ذلك العصر المظلم المليء بالخوف والإرهاب.

وقد استدعى هارون الإمام الرضا عليه السلام للتحقيق معه والحد من نشاطه وربما قتله، ولكنه تراجع عما كان ينويه، وأعاد الإمام عليه السلام إلى بيته مكرّماً مبجّلاً[٥].

---

(١) الحسن بن سعيد بن حماد بن مهران مولى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، كوفي أهوازي يكنى أبا محمد، وهو الذي أوصل علي بن مهزيار وإسحاق بن إبراهيم الحصيني إلى الإمام الرضا عليه السلام حتى جرت الخدمة على أيديهما، ثم أوصل بعد إسحاق بن علي بن الريان، وكان سبب معرفة هولاء الثلاثة لهذا الأمر ومنه سمعوا الحديث وبه عرفوا.

(٢) إبراهيم بن محمد الهمداني: من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام والإمام الجواد عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام، ثقة، وذكر الكشي أيضاً رواية تدل على وكالته للإمام الجواد عليه السلام وجلالة قدره وعظم شأنه.

(٣) الريان بن شبيب: خال المعتصم، ثقة، سكن قم وروي عنه أهلها، وجمع مسائل الصباح بن نصر الهندي للرضا عليه السلام.

(٤) أمثال: علي بن مهزيار الأهوازي، علي بن يحيى بن الحسن، محمد بن خالد البرقي..

(٥) عن أبي الصلت الهروي قال: كان الرضا عليه السلام ذات يوم جالساً في منزله إذ دخل عليه رسول هارون فقال: أجب الأمير، فقام عليه السلام فقال لي: «يا أبا الصلت إنه لا يدعوني في هذا الوقت إلا لداهية، فو الله لا يمكنه أن يعمل بي شيئاً أكرهه، لكلمات وقعت إلي من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله»، قال: فخرجت معه حتى دخلنا على هارون، فلما نظر إليه الرضا عليه السلام قرأ هذا الحرز إلى آخره، فلما وقف بين يديه نظر إليه هارون وقال: يا أبا الحسن قد أمرنا لك بمائة ألف درهم واكتب حوائج أهلك، فلما ولى عنه علي بن موسى وهارون ينظر إليه في قفاه قال: أردت وأراد الله وما أراد الله خير. راجع (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١١٦.

عهد المأمون العباسي

غيّر المأمون العباسي ـ بحسب الظاهر ـ شيئاً من أسلوب بني العباس، وإن لم يختلف في الجوهر شيئاً، فإن الناس لم يتحملوا آنذاك إيذاء أهل البيت عليهم السلام ، وكان الرأي العام مع العترة الطاهرة، فقام المأمون بإظهار المحبة والتودد للإمام الرضا عليه السلام.

على عكس سياسة هارون، حيث كان الإمام الكاظم عليه السلام يعيش في أشد بلاء ومحنة وظلم من هارون، وهكذا هو شأن المتقين الأبرار في تحملهم للبلاء، وقد جاد الإمام عليه السلام بنفسه في سبيل الحق وإقامة العدل، فلم تزعزع إيمانه المحن، بل زادته إيماناً ويقيناً، فإنه غصن من الدوحة النبوية الطاهرة.

وبقيت إساءة هارون العباسي سببت للعذاب الأخروي الدائم، وتلك المظلمة سجلها عليه التاريخ، وأنكرتها عليه الأمم، وغضب عليه رب العالمين، ومن ينجو من عقاب تلك المظالم، وسيسأل كل طاغية وكل ظالم عما اقترفه من السيئات وعن المظالم في حق شعبه وأمته.

ضاق هارون ذرعاً بالإمام الكاظم عليه السلام ولم يطق عليه صبراً، فأمر بقتل الإمام عليه السلام مسموماً.

وبهذا انتهت محنة إمامنا موسى بن جعفر عليه السلام باستشهاده بالسم، وبقيت المحن تصيب الإمام الرضا عليه السلام وسائر أهل بيت النبوة عليهم السلام وشيعتهم الذين أعرضوا عن الحكام بكليتهم لإعراض الحكام عن الله وعن دينه وشريعته.

ولم تسكت شيعة الإمام الكاظم عليه السلام عن الظلم الذي لحق بإمامهم، جراء طيش هارون وسوء تصرفه بالسلطة، بل راحت تفضح تلك الأساليب الإرهابية التي كان يمارسها الحكم العباسي المتسلط حتى هلك هارون.

ولما وصلت السلطة إلى المأمون، ورأى أن الرأي العام ضده، أخذ بأساليبه وألاعيبه الشيطانية يتصنع الود ويتظاهر بالمحبة لأهل بيت العصمة عليهم السلام لأنه كان يخشى ثورة الشيعة، ويخاف من قيادتهم والتفاف الأمة حولهم، ويخشى بشكل خاص قيادة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والتفاف الناس حوله.

من أهداف المأمون

كان المأمون طموحاً في الملك وخلافة بني العباس، وعمل كل ما بوسعه للوصول إلى سدة الحكم، فقد حدثنا التاريخ أنه حارب أخاه الأمين وقتله وقطع رأسه ونصبه في ساحة المدينة مدة من الزمن حتى يبصق عليه الناس.

وكان أخوه المقتول هو الذي نص عليه هارون بالخلافة من بعده، وكان المنافس الأول للمأمون.

كما اتخذ المأمون خطة ماكرة تجاه الإمام الرضا عليه السلام وذلك للحد من نشاطه الديني والسياسي، والقضاء على الانتفاضات العلوية والتي كانت تحدث في عصره بين فترة وأخرى، فأخذ يتظاهر بالابتعاد عن رؤساء بني العباس والتقرب إلى الإمام الرضا عليه السلام .. ولم يرد به وجه الله والدار الآخرة، ولا عصمة النفس عن الشهوات، وإنما ليضفي على نفسه لقب الخليفة، والشخص الأول في الدولة الإسلامية في ذلك العصر، وليغطي على جرائمه وموبقاته التي راح ضحيتها الآلاف وسالت دماؤهم دون وجه حق. وحتى يستطيع هو وزمرته من وراء الستار القضاء على تحركات شيعة الإمام الرضا عليه السلام بل والإنهاء على حياة الإمام عليه السلام، مستغلاً وجوده ومشاركته في حكم المأمون، وقصد بالمشاركة المذكورة عدة أمور نجملها ملخصاً:

١: جلب انتباه الأمة إلى أن أهل بيت النبوة يتصنعون ـ والعياذ بالله ـ الزهد ظاهرياً، لأن السلطة لم تصل إليهم، وما إن

وصلت الحكومة دارهم حتى صفقوا لها باليدين وأقبلوا على الدنيا.

وقد أفشل الإمام الرضا عليه السلام خطة المأمون بموقفه الدقيق والحذر والحصيف كما سيأتي.

٢: وبما أن عميد العلويين في ذلك العصر هو الإمام الرضا عليه السلام فوصوله ومشاركته في حكم المأمون يمنع من قيام أي حركة ونهضة ضد الحكم القائم.

٣: عند ما تصبح ـ حسب الظاهر ـ القوة المسيطرة بيد الإمام الرضا عليه السلام يظهر مخالفو المأمون الذين هم من أتباع الإمام الرضا عليه السلام لإحراز السيطرة على المناصب، وبالنتيجة سيعرفهم المأمون بشكل تفصيلي ويشرع في تصفيتهم وقتلهم.

٤: كما كان المأمون يسعى في تشكيل أكبر المجالس العلمية، ويدعو مفكري ذلك الزمان لمباحثة الإمام الرضا عليه السلام وطرح أصعب الأسئلة عليه، ربما يتمكن ـ حسب زعمه ـ من إظهار عجز الإمام (والعياذ بالله) وإظهار عدم مقدرته العلمية، ومن ثم عدم أحقيته بخلافة الأمة.

وهناك أهداف وأفكار أخرى كلها تصب في بقاء حكم المأمون العباسي وسيطرته الكاملة المحكمة على مقدرات الأمة.

خيوط المؤامرة

صمم المأمون على تنفيذ مؤامرة سياسية ضد الإمام الرضا عليه السلام، وحسب لها الحسبان .. فتمثلت خطة الاحتيال لدى المأمون بإرسال مجموعة من جلاوزته برئاسة (الرجاء بن أبي الضحاك) إلى المدينة المنورة، لإجبار الإمام الرضا عليه السلام على ترك موطنه الأصلي (مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) والاتجاه صوب خراسان.

وكان الإمام الرضا عليه السلام عالماً بنوايا المأمون بالعلم اللدني وغيره، فشرع الإمام عليه السلام بتوديع أهله وأمرهم بالبكاء والندب عليه، وعندما سُئل عن سبب ذلك وقيل له بأن البكاء لا يصلح على المسافر، أجاب: ذلك للمسافر الذي يأمل في الرجوع، وأما أنا فلا رجوع لي من هذا السفر، وسأقتل غريباً مسموماً بعيداً عن الأهل والوطن.

عن الحسن بن علي الوشا قال: قال لي الرضا عليه السلام: «إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا علي حتى أسمع، ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً»[1].

ثم ذهب الإمام الرضا عليه السلام إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبر جده الشريف، ليودعه، وأخذ يبكي بصوت عال، وعندما سُئل عن سبب ذلك أجاب: إنه آخر وداع لي، لأني أرحل عن الدنيا في الغربة، وفيها أوارى في التراب بجنب هارون.

عن مخول السجستاني قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل عليه السلام المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدمت إليه وسلمت عليه فرد

---

(١) انظر (إعلام الورى بأعلام الهدى) للشيخ الطبرسي: ج٢ ص٥٩ في ذكر دلالاته ومعجزاته عليه السلام.

السلام وهنأته فقال: «زرني فاني اخرج من جوار جدي ﷺ فأموت في غربة وادفن في جنب هارون»[1].

وقد كشف الإمام الرضا عليه السلام بهذه المواقف الواضحة والأجوبة الصريحة والصادقة للأمة عن تلك الأحابيل الشيطانية التي أقدم عليها المأمون العباسي، ولكي يبين للأمة جمعاء أنه ليس له صلة بالحكم المسيطر، وإنما أُجبر على الابتعاد عن وطنه والعيش في الغربة، ومن ثم قتله مسموماً مظلوماً.

(١) انظر بحار الأنوار: ج٤٩ ص١١٧ ب١٠ ح١.

حديث سلسلة الذهب

حُمِل الإمام الرضا عليه السلام من مسقط رأسه (المدينة المنورة) إلى (نيشابور)[1] وذلك في طريقهم إلى خراسان، وفي هذه المدينة خرج لاستقبال الإمام عليه السلام أكثر من مائة ألف شخص وهم في غاية الشوق لرؤيته عليه السلام والاستفادة منه.

وكان في عداد هذا العدد الهائل كثير من العلماء والمحدثين، وكلهم بلهفة بالغة، فطلبوا من الإمام عليه السلام أن يكشف عن وجهه الكريم للتبرك بنوره المشع، فأزاح الإمام عليه السلام الستار عن الهودج.. فأخذت الجموع بالبكاء من شدة الشوق.

ثم طلب اثنان من المحدثين[2] من الإمام الرضا عليه السلام نيابة عن الجموع الغفيرة أن يحدثهم حديثاً عن أبيه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد عُدّ المحابر التي استعدت لكتابة الحديث فكانت أربعاً وعشرين ألفاً.

فاستجاب الإمام عليه السلام لطلبهم وحدّثهم بحديث ننقل نصه من كتاب (العروة الوثقى) للسيد الطباطبائي اليزدي قدس سره قال:

هذا الحديث المعروف بسلسلة الذهب، وهو ما حدثنا محمد بن موسى المتوكل قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه يوسف بن عقيل، عن إسحاق بن راهويه قال:

لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيشابور، وأراد أن يرتحل إلى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا: يا بن رسول

---

(١) كانت مدينة نيشابور آنذاك يشار إليها بالبنان لكبر مساحتها وزيادة نفوسها، وقد قضي عليها في حملة المغول حيث سقطت وقتل من فيها، فأصبحت مدينة صغيرة وفقدت بذلك مركزها العلمي والفكري، وذهب رونقها الذي كانت تتمتع به، واليوم هي إحدى مدن محافظة خراسان في إيران.

(٢) وهما: أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي.

الله ﷺ تدخل علينا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟

وقد كان عليه السلام قعد في العمارية، فأطلع رأسه فقال عليه السلام:

سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول: سمعت أبي محمد بن علي عليه السلام يقول: سمعت أبي علي بن الحسين عليه السلام يقول: سمعت أبي الحسين بن علي عليه السلام يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعت جبرائيل عليه السلام يقول: سمعت الله عزّ وجلّ يقول:

«كلمة لا إله إلاّ الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي» فلما مرت الرحلة نادى: «أما بشروطها، وأنا من شروطها»[1].

فهذا الحديث رواه الإمام الرضا عليه السلام في نيشابور متجهاً إلى (مرو)[2]، وهو الحديث المعروف بسلسلة الذهب، لأن الإمام

---

(١) العروة الوثقى للسيد اليزدي: ج٢ ص٧٧ في تكفين الميت.

(٢) تقع مدينة (مرو) اليوم في روسيا قرب الحدود الأفغانية بعد أن كانت جزءً من خراسان، وقد تم لقاء الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي في مرو، وكانت دولة أفغانستان الحالية قبل الإسلام وبعده جزءً من إيران، وانفصالها واستقلالها كان في العهد القاجاري عبر التدخل البريطاني لتقسيم العالم الإسلامي.

ولقد عمل الاستعمار وبالأخص الانكليزي على تفتيت الأمة الإسلامية إلى (قوميات) تأخذ أسماء الأمكنة الجغرافية في آسيا وأفريقيا التي يقيم فيها المسلمون، حتى إذا ما قويت هذه القوميات، تمكن المستعمر أن يوجه بعضها ضد بعض، وبذلك تأخرت بلاد الإسلام وتقهقهر المسلمون.

وقد جاء في خطاب وزير المستعمرات البريطانية (أورمبسي غور) إلى رئيسة الوزراء البريطانية (نيفيل تشمبرلين) ما يلي: (إن سياستنا تهدف دائماً وأبداً إلى منع الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وينبغي أن تكون كذلك، ففي السودان ونيجيريا كما هو الحال في مصر ودول إسلامية أخرى شجعنا بصواب القوميات المحلية لكونها أقل خطراً من الوحدة الإسلامية، إن

الرضا عليه السلام ومن نقل عنهم كلهم من المعصومين عليهم السلام . وشُبه هذا الحديث بالسلسلة الذهبية لأن رواته ينقلونه واحداً عن الآخر بأصح الأسانيد، علماً بأن الذهب له الاعتبار المادي، ولكن مثل هذه الأحاديث المباركة تبقى خالدة وحيّة، ولها القيمة المعنوية، فالتسمية تكون من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

الحديث ومسألة القيادة

إن حديث سلسلة الذهب الذي وصلنا من منبع الوحي الصافي والزلال العذب، حيث إن سلسلة الرواة كلهم من المعصومين عليهم السلام، قد أوضح لنا مسألة القيادة الصحيحة للأمة، فالقسم الأول من كلمة التوحيد (لا إله...) بمعنى لا يوجد أي إله، وهذا يشعر بالابتعاد والنفور من جميع الآلهة غير الواقعيين، وتناول القسم الثاني (إلاّ الله) صورة التولي الصحيح.

والإمام الرضا عليه السلام وبعد تأمل قليل ولأجل تنبيه أكثر للناس قال: إن لهذا الإيمان شروط، وأنا من جملة هذه الشروط، ويقصد عليه السلام بذلك ضرورة القبول بقيادة الأئمة المعصومين

الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليس الإمبراطورية البريطانية وحدها، بل فرنسا أيضاً)

هذه هي القومية دعوة إلى التفرقة والخلاف، وحيلة لتمزيق الوحدة الإسلامية، ومكيدة استعمارية لإيقاد نار الفتنة بين الأخوة والأحبة، وخنجر لتقطيع أوصال الدولة الإسلامية، فترقت الأمة أيدي سبأ، فكان ذلك الفصام النكد بين أجزاء الدولة الواحدة، وعاشت تلك الدولة التي طالما حمت الفضيلة وآوت المستضعفين ممزقة الأوصال، كالطفل اليتيم في وصاية الرجل اللئيم، وهكذا حققت القومية لأعداء الإسلام خدمات عجزت الآلة العسكرية عن تحقيقها، حيث سهلت احتلال تلك الرقة الواسعة من الأرض، أليس من المؤلم أن يكون الأفغاني أجنبياً في إيران، والإيراني غريباً في العراق، والعراقي خارجياً في الدول العربية، وهكذا حال سائر بلاد الإسلام.

عليهم السلام بعد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وبذلك أشار الإمام الرضا عليه السلام بعدم مشروعية حكم المأمون العباسي وعدم صحته.

إذاً هذا الحديث الشريف يبين أسس القيادة الصحيحة في الإسلام.

القيادة في الإسلام

وقد أشرنا في جملة من كتبنا[1] ومنها (الفقه: السياسة) إلى مسألة القيادة في الإسلام وما يرتبط بها، وفي هذا الكتاب وبمناسبة هذه الرواية (حديث سلسلة الذهب) عن الإمام الرضا عليه السلام لا بأس بالإلماح إلى تلك المسألة لمحة سريعة:

تحدث القرآن الكريم عن القيادة وولاية الأمر، وحصرها بالله تبارك وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والذين آمنوا بمواصفات خاصة، مما يراد به أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومن بعده الأئمة المعصومون من ذريته عليهم السلام.

قال عز من قائل: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[2].

وقد أجمعت كلمة المفسرين من الخاصة والعامة واتفقت آراؤهم على أن المقصود بـ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا** ..﴾ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ..

فهو عليه السلام دون غيره خليفة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي قام مقامه صلى الله عليه وآله وسلم ونهج نهجه وسار بسيرته، ومن بعده عليه السلام أبناؤه الأئمة الطاهرون عليهم السلام الذين تم تنصيبهم وتعيينهم من قبل الله تبارك وتعالى وبلّغه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

شورى الفقهاء المراجع

---

(١) للتفصيل راجع الكتب السياسية للإمام المؤلف قدس سره، منها: (إلى حكومة ألف مليون مسلم) و(الحكم في الإسلام) و(إلى حكم الإسلام) و(الإسلام والأنظمة المعاصرة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(نريدها حكومة إسلامية) وغيرها.

(٢) سورة المائدة: ٥٥.

أما في عصر غيبة ولي العصر الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه)، ـ وغيبته عليه السلام للمصلحة وبأمر الله تعالى، وسيظهر عليه السلام ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً ـ .

ففي زمان غيبة الإمام عليه السلام والذي نحن نعيشه، على الفقهاء المراجع الجامعين لشرائط التقليد أن يسيروا بسيرته عليه السلام وسيرة أجداده الطاهرين عليهم السلام في التصدي لإدارة البلاد والعبا، طبقاً لتعاليم الكتاب والعترة، وأن يكونوا على رأس الحكومة.

ومع تعدد المراجع الفقهاء، كما هو كذلك عادة، يجب أن تكون هناك شورى الفقهاء المراجع، كي يأخذوا على عاتقهم قيادة الحكومة الإسلامية بأكثرية الآراء وفي إطار الشرع المبين، كما يلزم أن تُنتخب أعضاء هذه الشورى من قبل الأمة انتخاباً واقعياً، يفسح المجال لكل من تتوفر فيه شرائط القيادة الشرعية، وإطلاق الحرية في الانتخاب لعموم الناس، للمشاركة والإدلاء بآرائهم.

والشريعة التي أنزلها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وألزمنا إتباعها والعمل بها ليست إلاّ كتاب الله الذي يقرؤه جميع المسلمين ويستمعون إليه في كل صباح ومساء، قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[1]، مضافاً إلى العترة الطاهرة عليهم السلام التي أمرنا الباري بإتباعهم، قال عزوجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[2].

أما الذين لا يستجيبون للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولما جاء به من الحق، فإنهم يستجيبون للضلال ويتبعون أهواءهم، وإن أعظم الناس ضلالاً من اتبع هواه ولم يهتدِ بهدى الله، قال عزوجل: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ**

(١) سورة الأنعام: ١٥٥.

(٢) سورة الحشر: ٧.

هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[2].

وفي هذه النصوص وغيرها، ما يكفي للقطع بأن الحكم في البلاد الإسلامية يجب أن يكون طبقاً للشريعة الإسلامية، فإن إتباع ما أنزل الله يقتضي أن يكون الحكم الحاكم مطابقاً لما أنزل الله، والحكام قائمين على أمر الله، ذلك أنه إذا استطاع البعض أن يتبع أمر الله فيما يتصل بنفسه وما هو في يديه، فلا يستطيع أن يتبع أمر الله فيما يتصل بغيره، وما ليس بيديه، وإذا استطاع أن يتبع أمر الله عند الاتفاق مع غيره، فلا يستطيع ذلك عند الاختلاف، وإذا استطاع أن يتبع أمر الله فيما هو للأفراد، فكيف يستطيع أن يتبعه فيما هو للحكام، إلاّ إذا كان الحكام مقيدين بإتباع ما أنزل الله.

ثم إن الله تعالى أوجب علينا عند التنازع والاختلاف أن نتحاكم إلى ما أنزل الله ونحكم في المتنازع عليه والمختلف فيه بحكم الله، قال عزوجل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾** [3].

وقال تعالى: **﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾** [4].

فيلزم أن يكون الحكم لله، وأن يكون الحكام والمحكومين في

---

(١) سورة القصص: ٥٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٩ .

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) سورة الشورى: ١٠.

كل بلد إسلامي مقيدين في تصرفاتهم واتجاهاتهم بإتباع ما أنزل الله، وأن يجعلوا دستورهم الأعلى كتاب الله.

ومن هذه النصوص نعرف أن الله جعل الحكم بما أنزله أحسن حكم وأفضله، ونسب الحكم بما أنزل إلى نفسه، فجعله حكم الله، وجعل الحكم بما عداه حكماً جاهلياً يقوم على الباطل، ووصف من يبتغي غير حكم الله بأنه يبغي حكم الجاهلية القائم على الأهواء والضلال، ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[1].

ومن هذه النصوص القاطعة يتبين أن الله حرّم الحكم بغير ما أنزله، كما حرّم عليهم الكفر والظلم والفسوق والعصيان، وجعل من لم يحكم بما أنزل الله كافراً وظالماً وفاسقاً، فقال جل شأنه:

﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[4].

فالحكومة الإسلامية تتميز بأنها حكومة قرآنية، أي أنها خاضعة للقرآن الكريم وهو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ .. والقرآن هو دستور الحكومة الإسلامية الأعلى، يحكم تصرفاتها، ويحدد حقوقها وواجباتها بصفة عامة، ويدع لها

---

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة المائدة: ٤٤.

(٣) سورة المائدة: ٤٥.

(٤) سورة المائدة: ٤٧.

ما دون ذلك من المناهج والتفصيلات ضمن الأطر الشرعية، كما أن القرآن في الوقت نفسه يبين حقوق الأفراد وواجباتهم، ويحدد علاقتهم بالحكومة ومدى سلطانها عليهم ومدى خضوعها لسلطانهم.

الحكومات الظالمة والتعامل معها

فوظيفة جميع المسلمين أن لا يتعاملوا مع الحكومات الباطلة والظالمة، وأن لا ينفذوا أوامرها، بل يجب عليهم التمرد عليها، وبذل سعيهم لإيجاد حكومة العدل لترضي الله ورسوله ﷺ والأئمة الطاهرين عليهم السلام وأكثرية الأمة الإسلامية.

إن المسلمين مكلفون بإتباع ما جاء به القرآن وبالاستمساك به، وليس لهم أن يخرجوا عليه بأية حال، قال سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ (١).

وقال عزوجل: ﴿**وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء**﴾ (٤).

وقال عزوجل: ﴿**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ**

---

(١) سورة يونس: ١٠٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٢ .

(٣) سورة الزخرف: ٤٣.

(٤) سورة الأعراف: ٣.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [1].

الإمام عليه السلام وبناء المؤسسات

الحياة تتوقف على المؤسسات، والأئمة الطاهرون عليهم السلام قد شجعوا على المؤسسات الإنسانية والخيرية والعلمية وما أشبه.

وهكذا أخذ الإمام الرضا عليه السلام يقود الحياة .. ففي مدة إقامته عليه السلام بمدينة نيشابور قام بتشييد عدد من المؤسسات الدينية والاجتماعية كالمساجد والحمامات والقنوات وغيرها[2].

حتى يعلّم مواليه وشيعته كيفية الاستفادة من الفرص، وإن أقام الإنسان في مكان إقامة مؤقتة، فبناء المؤسسات الدينية والإنسانية من أهم عوامل تقدم ورقي المجتمع الإسلامي في مختلف أنحاء المعمورة[3].

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٦.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٢٠ ب١١.

(٣) والجدير بالذكر، أن سيدنا المؤلف دام ظله أعار هذه الملاحظة اهتمامه ونشاطه، فأقدم على تأسيس وتشييد المؤسسات الخيرية والدينية والاجتماعية والإنسانية والفنية والأدبية ◄ ►والإعلامية وغيرها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، قام ببناء أكثر من مائتي مؤسسة وجمعية في العراق، وأكثر من مائة مؤسسة في إيران، من مستوصفات صحية، ومساجد، ومكتبات عامة، ودور نشر، ومدارس دينية، وحسينيات، وهيئات، وصناديق للقرض الحسن وغيرها.. بالإضافة إلى عشرات المؤسسات الأخرى في مختلف دول العالم من الكويت وسائر دول الخليج، والهند، وباكستان، وسورية، ولبنان، وأوروبا، وأمريكا، وأفريقيا و...

مدينة مرو تستقبل الإمام عليه السلام

اقترب موكب الإمام الرضا عليه السلام من مدينة (مرو)، والناس كلهم رغبة وشوق، وعيونهم ترصد الطريق، وكان المأمون العباسي مع جلاوزته من جملة من يستقبل الإمام عليه السلام .. وما أن وصل الإمام عليه السلام إلى مرو، حتى كانا المأمون من متقدمي المستقبلين فرحب بالإمام عليه السلام وأخذ يتظاهر بالمحبة والتودد له عليه السلام حتى وصل الإمام إلى محل إقامته.

رفض الخلافة

كان المأمون قد بنى في وسط بستان دارين متجاورين، وكان بينهما طريق يوصل إحداهما بالأخرى، وكان المأمون يقيم في الأولى، فيما كانت الثانية منزل إجلال الإمام عليه السلام، وكان يتشرف المأمون بحضور الإمام عليه السلام ويتظاهر بحبه له ويقول:

يابن رسول الله، إني اعترف بفضلك وعلمك وعبادتك، وأنت أجدر وأليق للخلافة مني، فهلاّ سمحت لي بأن أخلع نفسي منها، وأعهدها إليك، وأكون أول من يبايعك..

ولكن الإمام عليه السلام كان يعلم بالأهداف الحقيقية للمأمون العباسي وخبث نيته، فما كان منه عليه السلام إلاّ أن أجابه جواباً قاطعاً لم يستطع المأمون الردّ عليه، ولذا اشتدت ضغوط المأمون على الإمام..

قال الإمام عليه السلام في جوابه: (إذا كانت الخلافة من حقك، والله قد أقرّك عليها، فليس لك أن تتنازل عنها لغيرك، وتخلع القميص الذي ألبسك الله إياه، وإن لم تكن الخلافة لك، فلا يحق

لك أن تعهد إليّ ما ليس لك)[1].

وهنا قد يتبادر إلى الأذهان سؤال، وهو: لماذا رفض الإمام عليه السلام القيادة والخلافة ولم يقبلها، عند ما أراد المأمون العباسي خلع نفسه من الخلافة ليعهد بها إلى الإمام الرضا عليه السلام؟

والجواب على ذلك:

إن المأمون لم يكن صادقاً في كلامه، بل كان يريد الحكومة لنفسه دون غيره، وإلاّ فلماذا قتل أخاه الأمين على الحكومة؟

فهو قد أراد مسرحية وصورياً أن يخلع نفسه من الحكم ليمدحه الناس، لا أن يعزل نفسه واقعاً، وكان يريد أن يشوه سمعة الإمام الرضا عليه السلام لتتوجه السلبيات نحو الإمام.

وكان يريد للإمام عليه السلام منصباً اعتبارياً صورياً فحسب، على أن تكون أزمة الأمور وشؤون الدولة بيده، فإذا قام بأي عمل وأي ظلم يدعي أنه قد تم بإشراف الإمام ورعايته! وذلك لحفظ منافع المأمون الشخصية والسعي للقضاء على مكانة الإمام عليه السلام بين الناس.

فكان الكادر الحكومي والهيئة الإجرائية كلهم من الظلمة وعلى خلاف سيرة الإمام عليه السلام وكان القائمون على مجريات الأمور من الذين يتعيشون على موائد المأمون، وكانوا على اختلاف جوهري مع أسلوب حكومة الإمام الرضا عليه السلام ولذا كان من المتعذر قيادة الإمام عليه السلام مع هذه التركيبة من الكادر الحكومي الفاسد.

---

(١) نقل الشيخ الصدوق قدس سره في علل الشرائع : ج١ ص٢٣٧ ب١٧٣ الكلام الذي دار بين الإمام الرضا عليه السلام والمأمون عندما عرض عليه الخلافة ثم ولاية العهد، فقال المأمون: إني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك، فقال له الإمام الرضا عليه السلام: «إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك».

ثم إن تراجع المأمون العباسي عن مقام الخلافة والتصدي للحكومة، كان من التكتيك السياسي، ليقول الناس إن الإمام عليه السلام إذا التهى بالسلطة والتذّ بها ـ والعياذ بالله ـ لم يسحب يده منها، وترك الزهد والآخرة، وفعل كما يفعل الطغاة من ظلم وجور.

وإلاّ فالمأمون الذي عشق الملك والحكومة، وأراق دماء الآلاف من الناس في سبيل الوصول إليها، وقتل أخيه (الأمين) شر قتلة، وقضى عليه بشكل وحشي، كيف يتنازل عن الخلافة بهذه البساطة، وهذا مما لا يخفى على من له أقل اطلاع فضل عن الملم بالسياسة، العارف بزمانه، العالم بأساليب الدكتاتوريين.

نعم لو كان المأمون صادقاً في خلع نفسه وجميع أعوان حكومته، وكان يقبل دون منازعة حكومة الإمام الرضا عليه السلام، بحيث لم يترتب على ذلك أي مفسدة، ربما كان الإمام عليه السلام يأخذ على عاتقه هذا الحمل، وهو القيادة والمسؤولية الظاهرية مضافاً إلى ما نص عليه رب العالمين ونبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كما جاءت الخلافة إلى جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فأحيى العدالة وأخذ بالحكم وسار به بسيرة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام.

ولاية العهد

المأمون العباسي في خطته الشيطانية عرض على الإمام عليه السلام أولاً أن يتولى أمر الخلافة الظاهرية، فرفض الإمام ذلك، وأجابه بجواب مفحم، فلما استمع المأمون إلى جواب الإمام الرضا عليه السلام .. تغير لونه، وعجز عن الجواب، إلاّ أنه تظاهر بالتبسّم في وجه الإمام، ولكن الحقد أخذ يتزايد في قلبه.

وهذه هي العصبية العائلية، وحب السلطان التي تعمي البصائر والأبصار عن رؤية الحق الواضح.

وحين أراد المأمون أن يحرج الإمام الرضا عليه السلام ويتخذ من رفضه لقبول الخلافة ممسكاً قال له: يا بن رسول الله، أفلا بصيص أمل.. يجب أن تقبل اقتراحي.

فأجابه الإمام عليه السلام: لم أقدم على هكذا عمل باختياري[1].

---

(١) عن أبي الصلت الهروي قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضا عليه السلام: «بالعبودية لله افتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى» فقال له المأمون: فإني رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك، فقال له الرضا عليه السلام: «إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة لغيرك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك» فقال له المأمون: يا ابن رسول الله لابد لك من قبول ◄ ►هذا الأمر، فقال: «لست أفعل ذلك طايعاً أبداً» فما زال يجهد به أياماً حتى يأس من قبوله، فقال له: وإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي، فقال الرضا عليه السلام: «والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب قبر هارون» فبكى المأمون ثم قال له: يا ابن رسول ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة عليك وأنا حي؟ فقال الرضا عليه السلام: «أما إني لو شاء أن أقول

ولقد مرّ أن الإمام الرضا عليه السلام أبان وجهة نظره في التصدي للخلافة، وكان جوابه ذاك الذي أغاظ المأمون، فأسرها في نفسه واحتفظها عنده ..

هنا برز للمأمون حيلة أخرى وذريعة ظنها محكمة، ليجعل منها في إنزال المحنة بالإمام الرضا عليه السلام .. وهو يعلم مسبقاً أن طلبه مردود عليه أيضاً، فقال المأمون للإمام عليه السلام: إذا لم تقبل اقتراحي بشأن الخلافة ولن ترتضيها، فلابد من قبول ولاية العهد، ومبايعتي لك على ذلك، لتكون الخليفة من بعدي!).

فأجابه الإمام عليه السلام بقوله: (أقسم بالله أخبرني أبي عن آبائه عن نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: بأني أرحل عن الدنيا مسموماً قبلك يا مأمون).

وهذا الجواب من الإمام الرضا عليه السلام قد سجله التاريخ، وقد كشف الإمام عليه السلام في جوابه هذا عن الخطة التي سيقدم عليها المأمون العباسي من ظلمه للإمام وقتله بالسم، وهكذا أعلن الإمام مظلوميته للجميع.

من ذا الذي يقتلني لقلت» فقال المأمون: يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا، فقال الرضا عليه السلام: «والله ما كذبت منذ خلقني الله ربي تعالى، وما زهدت للدنيا في الدنيا، وإني لأعلم ما تريد» فقال المأمون: وما أريد؟ قال: «الأمان على الصدق» قال لك الأمان، قال عليه السلام: «تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟» فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي والله لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك، قال الرضا عليه السلام: «قد نهاني الله تعالى أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل على أني لا أولي أحداً ولا أعزل ولا أنقض رسماً أو سنة وأكون في الأمر من بعيد مشيراً» فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك. انظر (روضة الواعظين) للفتال النيسابوري: ص٢٢٣ في مجلس ذكر إمامة علي بن موسى الرضا ومناقبه عليه السلام.

فالمأمون الذي كان يعتقد أنه قد أحكم خطته ومؤامرته بحق الإمام عليه السلام فشل فشلاً ذريعاً، وأخذ يتظاهر بالبكاء الشديد لدى سماعه جواب الإمام عليه السلام ..

وهذه مسرحية الطغاة المتعطشين للسلطة، فلأجل الوصول إلى الحكم قتل أخاه الأمين، ومن جانب آخر هكذا يتظاهر بالعاطفة والبكاء المفتعل.

وبعد أن بكى المأمون طويلاً أطبق حاجبيه وقال: (بوجودي من يستطيع أن يسيء الأدب إليك، ويمسّك بسوء، إنك لا تقبل بولاية العهد حتى يقول الناس عنك بأنك زاهد راغب عن الدنيا، فلابد لك أن تقبل بولاية العهد بالإجبار والإكراه وإلاّ ضربت عنقك).

وهنا يظهر التلون في سياسة المأمون، فبعد أن بكى على كلام الإمام عليه السلام وأظهر محبته وعاطفته، تراه يستعمل أشد التهديد والخشونة لإجبار الإمام على قبول ولاية العهد.

وهنا قال الإمام الرضا عليه السلام: إن الله نهاني أن أدفع نفسي للهلاك، فعليّ أن أقبل بولاية العهد مكرهاً، لكن بشرطين:

أحدهما: أن لا أعين أحداً ولا أعزل أحداً أبداً ولا أنقض رسماً أو سنة.

ثانيهما: أن أكون في الأمر من بعيد مشيراً[1]. أي بالنصيحة العامة من دون أن تنسب الأمور إلى الإمام عليه السلام.

وبهذين الشرطين سلب الإمام الرضا عليه السلام شرعية المأمون، وقضى على خطته الخبيثة التي أراد أن يلصق بالإمام كل تلك المساوئ والسلبيات في حكومته.

فكان الإمام عليه السلام بعيد المدى ودقيق النظر، وصائباً في

(١) انظر النص السابق.

تعامله من النظرة السياسية وغيرها، حيث قطع على المأمون طريقه، وأفشله من أن يحقق أهدافه، لأن الإمام الرضا عليه السلام إذا كان قد وافق على التنصيب والعزل، وتدخل في الآداب والرسوم العباسية، كان قد أشرك نفسه في أمور الدولة الظالمة، ومن هنا ابتعد عنها بالكامل.

المأمون وسياسة النفاق

أخذ المأمون العباسي يتظاهر بالارتياح ويبدي سروره بولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام ، فأمر الكل بمبايعة الإمام، وأودع السجن كل من امتنع عن ذلك، ومن جهة أخرى أمر بضرب السكّة باسم الإمام الرضا عليه السلام في جميع أرجاء الدولة الإسلامية تعظيماً لذلك اليوم، كما أمر بأن تقرأ الخطبة باسم الإمام عليه السلام، وأقام مجالس الفرح، ودعى إليها الشعراء والأدباء لينشدوا الأشعار في مدح الإمام عليه السلام ويهنئوه على ولاية العهد، وأخذ يصرف على ذلك المبالغ الطائلة من بيت المال، ويمنح الجوائز والصلات الكبيرة الثمينة للمداحين والمهنئين[1].

---

(١) عن علي بن إبراهيم قال : حدثني ياسر الخادم لما رجع من خراسان بعد وفاة أبي الحسن الرضا عليه السلام بطوس بأخباره كلها، قال علي بن إبراهيم: وحدثني الريان بن الصلت وغيره، كل هولاء حدثوا بأخبار أبي الحسن عليه السلام وقالوا: لما انقضى أمر المخلوع (الأمين)، واستوى أمر المأمون، كتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خرسان فاعتل عليه السلام بعلل كثيرة فما زال المأمون يكاتبه ويسأله حتى علم الرضا عليه السلام أنه لا يكف عنه، فخرج وأبو جعفر عليه السلام له سبع سنين فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الكوفة وقم، فحمل على طريق البصرة والأهواز وفارس حتى وافى مرو، فلما وافى مرو عرض عليه المأمون أن يتقلد الإمرة والخلافة، فأبى الرضا عليه السلام في ذلك، وجرت في هذا مخاطبات كثيرة وبقوا في ذلك نحوا شهرين كل ذلك يأبى عليه أبو الحسن عليه السلام أن يقبل ما يعرض عليه، فلما أكثر الكلام والخطاب في هذا قال المأمون: سل ما شئت، قالوا: فكتب الرضا عليه السلام: «إني أدخل في ولاية على أن لا آمر ولا أنهى ◄ ►ولا أقضي ولا أغير شيئاً مما هو قائم، وتعفيني عن ذلك كله» فأجابه المأمون إلى ذلك، وقبلها على كل هذه الشروط، ودعا المأمون القواد والقضاة والشاكرية وولد العباس إلى ذلك، فاضطربوا عليه فأخرج أموالاً كثيرة وأعطى القواد وأرضاهم إلا ثلاثة نفر من قواده أبوا ذلك: أحدهم الجلودي، وعلي بن عمران، وابن موسى، فإنهم أبوا أن يدخلوا في بيعة الرضا عليه السلام فحبسهم وبويع للرضا عليه السلام وكتب بذلك إلى البلدان، وضربت الدنانير والدراهم باسمه،

ومن جهة أخرى تراه ـ أي المأمون ـ يوجه الدعوة إلى كبار علماء المذاهب المختلفة وأكبر الشخصيات العلمية ليباحثوا الإمام الرضا عليه السلام ويطرحوا عليه أصعب الأسئلة في مختلف العلوم ، ظناً منه أنه سيحرج الإمام عليه السلام ليعجز ـ والعياذ بالله ـ ولو مرة واحدة عن الجواب، ويخسر في المباحثة والمناظرة، ليربح المأمون الورقة ويستطيع بها أن يجترئ على شخصية الإمام عليه السلام من الناحية العلمية[1]..

وكما هو المشهور: (إذا أراد الله صار العدو سبب الخير) ، فالإمام الرضا عليه السلام في مباحثاته أظهر تفوقه على الجميع وفي جميع المسائل العلمية الدقيقة والعميقة وفي مختلف الأديان والعقائد، وأخذت شخصية الإمام عليه السلام تزدهر يوماً بعد يوم وتشيد الناس بأحقيته.

وفي الحديث عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا موسى ابنك ينظر بنور الله عزوجل وينطق بالحكمة، يصيب ولا يخطئ، يعلم ولا يجهل، قد مُلئ علماً وحكماً)[2].

صلاة العيد

وخطب له على المنابر وأنفق المأمون على ذلك أموالا كثيرة. انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٣٤ ب١٣ ح٩.

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٧٣ ب١٤. وهكذا اتخذ المأمون الكذب والتزوير والتضليل كوسائل للتغطية على واقعه وحقيقته، وهذا من أبرز سمات المنافقين، فتراه يتآمر عملياً ضد الإمام الرضا عليه السلام ولكنه في القول يتظاهر بالحب والولاء للإمام عليه السلام ولأهل البيت عليهم السلام.
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيجزيه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق عالم باللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون». انظر (مستدرك سفينة البحار): ج١٠ ص١٣٠في مادة (نفق)

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣ ص١٦٦ ب٦٥.

وفي أحد أيام العيد، طلب المأمون من الإمام الرضا عليه السلام أن يؤم الناس في صلاة العيد، نيابة عنه، وكان هدف المأمون من ذلك أن يدخل الإمام عليه السلام ولو في بعض الأمور المرتبطة بالحكومة، وأن يقوي حكومته ودولته بذلك، ولكنه قال للإمام عليه السلام: إنه يريد تثبيت قلوب الناس والاطمئنان بولاية عهد الإمام، وأن يستفيد المسلمون من فضله ومقامه..

والإمام عليه السلام كان عالماً بجميع تلك الخطط المأمونية، فكان جوابه عليه السلام للمأمون:

إنه من شروط قبوله لولاية العهد الابتعاد عن كل أمر حكومي وعدم التدخل في الشؤون.

ولكن المأمون أصر وأصر، وقال: ستتعرف عموم الناس ورجالات الدولة والعسكر على شخصية الإمام عليه السلام وهذا ضروري في نظام الدولة...

وإزاء هذا الإصرار أجابه الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (إذا كان كذلك فأنا أذهب كما كان جدي نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام ، ولا أقبل بالتشريفات والآداب الحكومية في أداء الصلاة)...

وما أن طلعت شمس يوم العيد، وإذا بمجموعة كبيرة من رجالات الدولة، وعموم الناس يجتمعون عند منزل الإمام عليه السلام..

فلبس الإمام عليه السلام عمامة بيضاء، ووضع طرفاً منها على صدره والطرف الآخر على حزامه، ومشى حافياً وبيده عصاه، وهكذا خرج من بيته.

وعند ما خرج الإمام عليه السلام على الناس بهيبته هذه، أخذتهم حالة من المعنوية والروحية، وتعالت أصواتهم بالبكاء.

وكبّر الإمام عليه السلام أربعاً، وكبّر معه الناس، فأخذوا يبكون، وجاء في الرواية التي نقلها العلامة المجلسي رحمه الله: أن العسكر ارتجلوا عن خيلهم، وتحفوا كذلك (أي نزعوا أحذيتهم) وبعض

الذين كانوا يلبسون الأحذية المشدودة شداً محكماً (الجزات) استعملوا الشفرات والسكاكين لفكها، ومشوا حفاةً خلف الإمام عليه السلام ..

وكان الإمام عليه السلام يخطو خطوات .. ثم يقف ويكبّر أربعاً بصوت عال، والجماهير تتبعه وتكبر وتبكي.. وهكذا دخلت حكومة الإمام عليه السلام في قلوب الناس.

وكان خروج الإمام عليه السلام لصلاة العيد قد أثر أكبر التأثير على الناس.. وعند ما اطلع المأمون على مجريات الأمور خاف من الانقلاب عليه وخروج الأمر من سيطرته، فأرسل فوراً شخصاً إلى الإمام عليه السلام يطلب منه العودة وعدم الذهاب لصلاة العيد.. فرجع الإمام عليه السلام إلى بيته[1]. وهكذا فشلت خطة المأمون

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٣٤ ب١٣ ح٩ ، عن علي بن إبراهيم قال: حدثني ياسر الخادم لما رجع من خرسان بعد وفاة أبي الحسن الرضا عليه السلام بطوس بأخباره كلها، قال علي بن إبراهيم: وحدثني الريان بن الصلت .. وحدثني أبي عن محمد بن عرفة وصالح بن سعيد الراشيديين كل هولاء حدثوا بأخبار أبي الحسن عليه السلام وقالوا: .. فلما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب لتطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضله، وتقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة، فبعث إليه الرضا عليه السلام وقال: «قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر» فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الأمر فتطمئن قلوبهم ويقروا بما فضلك الله تعالى به فلم يزل يراده في ذلك.

فلما ألح عليه قال : «يا أمير إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي وان لم تعفني خرجت كما يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام» قال المأمون: اخرج كما تحب، وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن عليه السلام، فقعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان واجتمع القواد على باب الرضا عليه السلام، فلما طلعت الشمس قام الرضا عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وتشمر ثم قال لمواليه: «افعلوا مثل ما فعلت» ثم أخذ بيده عكازه وخرج ونحن بين يديه، وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه

أيضاً.

ثياب مشمرة، فلما قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخيل ◄ ►إلينا أن الهواء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيئوا بأحسن هيئة، فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة حفاة قد تشمرنا وطلع الرضا عليه السلام وقف وقفة على الباب وقال: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما أبلانا» ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا. فتزعزعت مرو من البكاء والصياح، فقالها ثلاث مرات فسقط القواد عن دوابهم، ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وصارت مرو ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والضجة، فكان أبو الحسن عليه السلام يمشي ويقف في كل عشرة خطوات وقفة يكبر الله أربع مرات، فيتخيل إلينا أن السماء والأرض والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير إن بلغ الرضا عليه السلام المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس فالرأي أن تسأله أن يرجع، فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه ورجع.

من أخلاق الإمام عليه السلام

كما يمُتحن الذهب بالنار، يمُتحن الرجل بالسلطة والمال، لأن المال يفسد الإنسان عادةً، والسلطة تغير من طباعه كذلك، ولكن أنى للسلطة أن تغير مثل الإمام الرضا عليه السلام ..

فالرجل الذي كان بحسب المنصب الظاهري ثاني شخصية لأكبر دولة في العالم، تلك الدولة التي كانت أكبر من الدولتين العظيمتين (أمريكا وروسيا) مجتمعة، فتمتد من الشمال حتى النصف من روسيا وتركيا، ومن الجنوب حتى أفريقيا، ومن المشرق حتى الصين والهند، ومن المغرب حتى اسبانيا، وكانت الدنيا بيده..

أجل، مع أنه عليه السلام كان قادراً على التنعم بملاذّ الدنيا، فهو تركه زهداً وتعففاً ومواساة للفقراء.

فكم من رواية تدل على زهده، وان اختلفت في مصاديقها، ولكنها تنتهي إلى معنى واحد وحقيقة واحدة وهي أن زهد الإمام عليه السلام كان لا مثيل له.

أما تواضعه عليه السلام: فحسبك منه أنه كان يدعو عبيده والذين يعملون تحت يده من كبار وصغار، لتناول الطعام معه، ويحدثهم بأحاديث شيقة يأنس بها الجميع ويستفيد منها.

وعند ما عرض أحد الذين يعملون تحت يده بأن يعزل عليه السلام سفرة طعامه عن خدمه، أجابه الإمام عليه السلام قائلاً: (ما علمت لأحد فضلاً على آخر، فربّنا واحد، وأبونا آدم واحد، وأمنا حواء واحدة، وجزاء كل منا عمله)[1].

وقد نقل ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي الشريف عن

---

(١) انظر (عيون أخبار الرضا عليه السلام): ج٢ ص١٩٨ ب٤٤.

معمر بن خلاد قال: كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أتى بصفحة (قصعة كبيرة) فتوضع بقرب مائدته، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به فيأخذ من كل شيء شيئاً فيضع في تلك الصفحة ثم يأمر بها للمساكين ثم يتلو هذه الآية: ﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**﴾ [1] ثم يقول: «علم الله عزوجل أنه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة، فجعل لهم السبيل إلى الجنة»[2].

وكان الإمام الرضا عليه السلام مثالاً فذاً في الإنسانية والأخلاق.

والإنسانيون ذووا الأخلاق الطيبة يحبون أن يخاطبهم الناس بسهولة ويعاشرهم الآخرون بلا تكلّف، فالإمام عليه السلام يعيش في قلوب الناس.

وهكذا استطاع الإمام عليه السلام أن يمتدّ إلى الأقلام، ويحركها بعد أجيال متطاولة، وهذه الأخلاق الإسلامية السامية يندر وجودها إلاّ من الأئمة المعصومين عليهم السلام وقادة الإسلام الحقيقيين.

إن الإمام عليه السلام عالم رباني وحجة الله على الخلق أجمعين، يسير في ظل التعاليم الإلهية، فلا يملأ الآذان بالصخب والضجيج والأقوال الفارغة، كما هو شأن الطغاة والحكام، بعد أن تلهب الأكفّ تصفيقاً لهم والحناجر المأجورة تمجيداً لبلاغتهم، فيعود الجائع إلى بيته جائعاً، والمحروم ذليلاً. أما الإمام عليه السلام فلا يطلب إلاّ الحق: ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [3].

فالشعب وخدمته من أهم الغايات التي أمر الله بها، وعاش الإمام عليه السلام حياته من أجل الشعب وهدايته إلى الصراط المستقيم، حتى اغتاله البائسون وهو يفكر في ما يسعد الناس دنيا

---

(١) سورة البلد: ١١.

(٢) الكافي: ج٤ ص٥٢ باب فضل القصد.

(٣) سورة الصف: ٣.

وآخرة.

فهذا النجم[1] كان منارة يُهتدى به، لولا المطامع الدنيوية من قبل الطغاة التي تمنع الناس من الاهتداء بنوره، وكذلك الأحقاد الجاهلية، والضغائن العباسية، والأفكار الضيقة التي تسيطر عليها العنجهية.

كان الإمام عليه السلام هو المشرع البارع، الذي فوض الله إليه وإلى آبائه الطاهرين وأبنائه المعصومين عليهم السلام شرعه.

وهو عليه السلام الرجل العبقري الإلهي الذي فاق كل أحد في زمانه فضلاً وعلماً وتقوىً وخُلُقاً... فنهل من عبقريته كل مجتهد.

وكان عليه السلام منهلاً من الخير والنبل لا يغيض ولا ينضب.

وكان الإمام عليه السلام يرى في المسئولين خداماً للشعب، وأنه لا قيمة حقيقية لهم إلاّ بمقدار ما يوفرون للشعب من السعادة.

وكان عليه السلام ينفر من المظاهر التي يتصف بها الحكام، من ابتعادهم عن الناس، وأنهم يحجبون أنفسهم عن الرعية، ويضفون على أنفسهم هالة من القدسية، ويستخدمون الشرطة والحراس، فأما ما وجد من حاجب في باب الإمام الرضا عليه السلام فلم يكن عليه السلام قد عينه، أو ارتضى ذلك أبهة وفخفخة، وإنما جاء به المأمون العباسي لأغراض منها أن يتجسس على الإمام عليه السلام ليحيط المأمون علماً بما يفعله الإمام ومن يدخل عليه ومن يخرج، فلم يكن الإمام عليه السلام راضيا بالحاجب وأمثاله.

وقد روى التاريخ لنا: أن هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني[2] كان حاجباً للإمام عليه السلام، فإنه لم يكن حاجباً فحسب بل

---

(١) يعني الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) هشام بن إبراهيم الراشدي الهمداني العباسي: كان أديبا لبيبا وكانت أمور الرضا عليه السلام تجري من عنده وعلى يده وكان عيناً على الرضا عليه السلام، قبل حمل أبي الحسن عليه السلام ، فلما

كان جاسوساً للمأمون، وكان يترصد حركات الإمام عليه السلام ويخبر المأمون بها..

وهذا الرجل قد عُيّن من قبل الفضل بن سهل ذي الرياستين[1] (الصدر الأعظم في حكومة المأمون) وبأمر من المأمون نفسه.

وبهذا الأسلوب الماكر كان يتنكر هشام لينقل أخبار الإمام عليه السلام ويوصلها إلى المأمون، ورويداً رويداً قام الحاجب المذكور بجمع المعلومات عن لقاء الناس بالإمام عليه السلام ، ويوماً بعد يوم أخذ المأمون يضيق على الإمام عليه السلام وعلى شيعته، فمنع عدداً كبيراً من الشيعة من اللقاء بالإمام عليه السلام، وفي فترة قام المأمون بسجن
الإمام عليه السلام [2].

حمل أبو الحسن عليه السلام اتصل هشام بن إبراهيم بذي الرياستين فقربه ذو الرياستين وأدناه، فكان ينقل أخبار الرضا عليه السلام إلى ذي الرياستين والمأمون، فحظي بذلك عندهما وكان لايخفى عليهما من أخباره شيئا، فولاه المأمون حجابة الرضا عليه السلام وكان لا يصل إلى الرضا عليه السلام إلا من أحب، وضيق على الرضا عليه السلام فكان من يقصده من مواليه لا يصل إليه، وكان لا يتكلم الرضا عليه السلام في داره بشيء إلا أورده هشام على المأمون وذي الرياستين، وجعل المأمون ابنه في حجر هشام وقال أدبه فسمي العباسي لذلك.

(١) الفضل بن سهل بن عبد الله أبو العباس الملقب بذي الرياستين، كان من أولاد ملوك المجوس وهو وزير المأمون، خبيث ناصبي، كان هو وأخوه الحسن من أعداء الإمام الرضا عليه السلام، وقد أغريا المأمون حتى عمل على قتله عليه السلام، وإن الفضل لم يزل معاديا ومبغضا للإمام الرضا عليه السلام وكارها لأمره لأنه كان من صنايع آل برمك.

(٢) عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها الرضا عليه السلام بسرخس وقد قيد عليه السلام، فاستأذنت عليه السجان، فقال: لا سبيل لك إليه عليه السلام الخ. انظر (وسائل الشيعة) للحر العاملي: ج٤ ص٩٨ ب٣٠ ح٤. وفيه دلالة على انه عليه السلام كان في السجن ومقيداً بالأغلال.

وتاريخنا اليوم يدين أعمال المأمون العباسي وأمثاله ويحكم عليه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سلبيات المأمون وأنه على باطل، مضافاً إلى ضعفه وأحواله المضطربة ونفسه القلقة. ولذا جعل المأمون العيون والجواسيس على الإمام الرضا عليه السلام وأخذ بالتحقيقات وأبى أن يترك الإمام عليه السلام في هداية العلم يعلم الناس الطيب من القول والمأثور من جوامع الكلم النبوي، والإمام عليه السلام أعلم الناس وأفقههم بالكتاب والسنة وتعاليم العترة الطاهرة عليهم السلام.

كما أن المأمون لم يترك الإمام عليه السلام وشأنه حتى يشتغل بالعبادة، مسبحاً لله في محرابه، ومناجياً بذكر الآخرة، ويدعو على أولئك الظالمين، الذين فتكوا بالعترة النبوية الطاهرة وقطعوا أغصان الدوحة المحمدية.

فالتجسس على بيوت الناس حرام شرعاً، فكيف به على الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

ومن هذه الناحية والنواحي الأُخر، خالف المأمون تعاليم الإسلام، وهذا هو منطق الظلمة والطغاة الذين يتشبثون بمختلف الوسائل تحقيقاً لأهدافهم وإشباعاً لرغباتهم اللامشروعة.

مع معروف الكرخي

نعم، ويخلد التاريخ أفراداً، كمعروف الكرخي، وقد ولد من أبوين مسيحيين، وأسلم على يد الإمام الرضا عليه السلام وأخذ عنه، ولازم بيت الإمام وخدمه، وكان يفتخر بخدمة الإمام عليه السلام ويتباهي بذلك[1].

(١) معروف الكرخي: كان من موالي الإمام الرضا عليه السلام وكان أبواه نصرانيين، فسلما معروفا إلى المعلم وهو صبي وكان المعلم يقول له: ثالث ثلاثة وهو يقول: بل هو الواحد، فهرب ومضى

حفظ كرامة الناس

يجب على كل مسلم أن يحفظ كرامة أخيه المسلم، حتى في غيابه، ويعتبر الإسلام غيبة المؤمن من الذنوب الكبيرة.

والأئمة الأطهار عليهم السلام الذين جسّدوا الإسلام في كل أبعاده كانوا أفضل نماذج في هذا المجال، فهم لم يكتفوا بقضاء حوائج الناس، بل كانوا يحافظون على كرامة المحتاجين بأبلغ درجة.

وقد حدثنا التاريخ أن شخصاً جاء إلى الإمام علي بن موسى الرضا (عليه أفضل التحية والثناء) وقال له: (إني فقدت أموالي في الحج، وليس عندي ما يبلغني وطني، فمنّ عليّ بنفقة العودة، وسوف أتصدق عنك بهذه الدراهم التي تدفعها لي عند وصولي، لأني لست من موارد بذل الصدقة).

فاحترم الإمام عليه السلام هذا الرجل، ثم توجه إلى داخل الدار وأغلق باب الحجرة، وبعد لحظات أخرج يده الشريفة من الباب ونادى الرجل، ولما اقترب إليه قال الإمام عليه السلام له: هذه مائتا دينار، خذها وتصرف بها ولا تدفع عني صدقة.

فأخذ الرجل تلك الصرة من الدنانير، وخرج من بيت الإمام عليه السلام .

وقد سأل أحد الأصحاب الإمام الرضا عليه السلام وقال: جعلت فداك، لقد غمرت هنا الرجل بلطفك، فلم لم تكشف له عن نفسك وأخفيت نفسك؟

فأجابه الإمام: أحببت أن لا أرى عليه ذل السؤال. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن عمل المعروف بالخفاء يعادل سبعين حجة،

إلى الإمام الرضا عليه السلام وأسلم على يده، ثم انه أتى داره فدق الباب، فقال أبوه: من بالباب؟ فقال: معروف، فقال: على أي دين، قال: على ديني الحنيفي فأسلم أبوه ببركات الإمام الرضا عليه السلام، قال معروف: فعشت زمانا ثم تركت كلما كنت فيه إلا خدمة مولاي الإمام الرضا عليه السلام.

ويغفر الله لصاحبه ذنوبه)[1].

ومن مقتضيات الكرم أن لا يفسد الإنسان كرمه وجوده بالمنّ والأذى، والمنّ هو ذكر العطاء والتحدث به، والأذى هو إظهار الفضل على المُعطَى له والتكبر عليه، وتعييره لما أعطاه إياه.

في الحمام العام

إحدى العلامات البارزة في أخلاق الأئمة الأطهار عليهم السلام هو جماهيريتهم وتعايشهم مع الناس، ولنأخذ مثالاً على ذلك:

قصة الإمام عليه السلام في الحمام.

حيث كان بإمكان الإمام الرضا عليه السلام أن يبني لنفسه حماماً خاصاً، وعلى الأقل: أن لا يذهب إلى الحمام العام، إلاّ بعد أن يأمر بإخلاء الحمام من الناس، كما كان يفعل سائر أصحاب النفوذ.

ولكن الإمام عليه السلام وبمنتهى التواضع ذهب يوماً إلى الحمام العام كسائر الناس، وكان في الحمام رجل غريب يريد أن يدلّك أحد ظهره، فأخذ يجول ببصره في أطراف الحمام لعله يجد من

---

(١) روى ابن شهر أشوب في مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٤٧٠ باب إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام، بسنده أن رجلا قال للإمام الرضا عليه السلام: السلام عليك يا ابن رسول الله أنا رجل من محبيك ومحبي آبائك مصدري من الحج وقد نفدت نفقتي وما معي ما أبلغ مرحلة فإن رأيت ◄ ►أن تهيئني إلى بلدي ولله علي نعمة فإذا بلغت بلدي تصدقت بالذي توليني عنك فلست موضع صدقة، فقام عليه السلام فدخل الحجرة وبقي ساعة، ثم خرج ورد الباب وأخرج يده من أعلى الباب فقال: «خذ هذه المائتي دينار فاستعن بها في أمورك ونفقتك وتبرك بها ولا تتصدق بها عني اخرج ولا أراك ولا تراني» فلما خرج سُئل عن ذلك فقال عليه السلام: «مخافة أن أرى ذل السؤال في وجهه لقضاء حاجته أما سمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: المستتر بالحسنة تعدل سبعين حجة والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور».

يساعده في حاجته، فما أن وقعت عينه على الإمام الثامن عليه السلام حتى طلب منه أن يقوم له بذلك.

ولم يكن من الإمام الرضا عليه السلام رغم شخصيته المعنوية الشامخة ومقامه الظاهري الكبير، إلاّ أن نزل عند رغبة الرجل، وأخذ الكيس بيده الشريفة، وقام بتدليك ظهر الرجل، وفي أثناء ذلك دخل جماعة الحمام وكانوا يعرفون الإمام عليه السلام فسلموا عليه بقولهم: السلام عليك يا بن رسول الله .. فلما عرف الرجل الغريب الإمام الرضا عليه السلام أخذ يعتذر منه أشد الاعتذار.. ولكن الإمام عليه السلام وبكل لطف أمر الرجل بأن يجلس حتى يتم له عمله، وكان ما أراده الإمام عليه السلام[1].

وهذه القضية تكشف عن أمرين هما:

١: الإمام الرضا عليه السلام كان متواضعاً جداً، وجماهيرياً بحيث إنه كان يذهب إلى الحمام العام وحده وبدون أية تشريفات، ليس ذلك فحسب بل إنه يذهب في حالة بسيطة بحيث لا يعرفه البعض.

٢: الإمام الرضا عليه السلام رغم مقامه السامي المعنوي والظاهري حيث إنه ثاني شخصية في الدولة الإسلامية آنذاك، لا يأبي عن قضاء حاجة مؤمن، رغم عدم تناسب ذلك مع شأنه، بل بعد أن عرفه الرجل طلب الإمام عليه السلام منه أن يجلس حتى يتم الإمام عليه السلام عمله.

وهذا الدرس البليغ عبرة للحاكمين وتعليم لهم كيف يعيشون في وسط الناس ويخدمونهم.

التعامل مع المتكبر

إن التواضع للناس من الصفات المحمودة والمحبذة، ومن

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص٩٩ ب٧ح١٦.

كان متواضعاً رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة.

أما التواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم، والتواضع للظالمين والطغاة، فذاك الذل الذي لا عزّ معه، والخيبة التي لا رفعة فيها، ويترتب عليه ذل الآخرة، وفي الحديث الشريف: «من آتى غنياً فتضعضع له ليصيب دنياه ذهب ثلثا دينه»[1].

ومن المناسب أن نأخذ نموذجاً للتعامل مع المتكبرين والظالمين من حياة الإمام ا لرضا عليه السلام وهو ما حدث من الموقف بين الإمام عليه السلام وبين الفضل بن سهل ذي الرياستين، قائد القوات المسلحة ورئيس الديوان في عصر المأمون العباسي، بعد أن مر من تواضع الإمام عليه السلام للرجل الغريب في الحمام.

فقد كتب الفضل بن سهل، وبأمر من المأمون، وثيقةً لنفسه ضمّنها صلاحياته الكبيرة في الحكم، وقعها المأمون وكبار السياسيين من أفراد السلطة (الحاشية)، كما كتب المأمون بخطه وثيقة أخرى للفضل وهبه فيها من الأموال والأراضي ما لا يحصى.

وقد أراد الفضل أن تستمر هذه الامتيازات له من بعد المأمون في ظل الإمام الرضا عليه السلام باعتباره ولياً للعهد، فطلب من المأمون أن يضم توقيع الإمام الرضا عليه السلام إلى تلك المجموعة من التواقيع، فاعتذر له المأمون عن ذلك وقال له: إن الإمام عليه السلام اشترط علينا في قبول ولاية العهد أن لا يتدخل في الشؤون الحكومية والنصب والعزل وما أشبه، فأرى من الأفضل أن تذهب بنفسك إليه.

فأخذ ذو الرياستين رسالة المأمون معه ودخل على الإمام الرضا عليه السلام .. فرأى الإمام عليه السلام جالساً مشغولاً بأموره، فوقف

---

(١) انظر (الامالي) للشيخ الطوسي: ص٢٢٩ المجلس٨ ح٥٤ عن الإمام الصادق عليه السلام.

الفضل ذو الرياستين على باب الحجرة حتى يؤذن له بالدخول والجلوس، وانتظر طويلاً دون أن يعتني الإمام عليه السلام به، وبعد أن تحطم غروره وتكبره، رفع الإمام الرضا عليه السلام رأسه الشريف وقال: ما حاجتك؟

فأخذته الرهبة من هيبة الإمام، وبدا عليه الارتباك وقال: سيدي هذا كتاب من الأمير المأمون.. وبصفتكم ولي العهد جئت لكي توقعوا عليه.

فالتفت إليه الإمام عليه السلام وقال له: اقرأ ما هو مكتوب، فقرأ ذو الرئاستين ما كتبه المأمون وهو واقف، فقال الإمام الرضا عليه السلام: متى ما اتقيت الله قبلناك. ثم عاد الإمام عليه السلام إلى عمله من جديد.

وهكذا تحطم غرور الفضل وخرج من عند الإمام عليه السلام خائباً[1].

عيادة المريض

الاهتمام بأمر المسلمين، والعناية بشأنهم، والدفاع عنهم، والذود عن حياضهم، والعمل الدائب على ترقية حاضرهم، وإعدادهم لمستقبل أعز وأكرم، كل ذلك مما يقتضيه الإيمان وتوجبه الأخوة في الدين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

ويوم كان المسلمون يحسون هذا الإحساس، ويشعرون هذا الشعور، ويطبقون هذه التعاليم كانت رابطتهم أقوى من أن تحُل،

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٦٨ ب١٤ ح٥.

(٢) انظر (شجرة طوبى) للشيخ محمد مهدي الحائري: ج١ ص٩٠ المجلس٢٥.

ووحدتهم أعصى من أن يَنال منها العدو، فلما غفلوا عن هذا المعنى بدأ الضعف يدب في صفوفهم، وأخذت الفرقة تعمل عملها، مما نجم منه أن أصبحت بلادهم نهباً للاستعمار، ومناطق نفوذ لمن لايرقبون فيهم إلاً ولا ذمة.

ومن الأخلاق الإسلامية السامية عيادة المريض، وقد حدثنا التاريخ عن ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي كان يسير بسيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويتأسى به، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا لم ير أحداً من المؤمنين لبضعة أيام، استفسر عن حاله وسأل عنه، وإذا بلغه أنه مريض أسرع إلى لقائه وعيادته. وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام حيث مرض أحد شيعته فسأل عنه، فلما أخبر بمرضه جاء لعيادته ودخل بيته، وكان الرجل في سكرات الموت، فأخذ الإمام عليه السلام يقدم له النصيحة والموعظة، فقال: إن الناس صنفان، أحدهما من يرتاح هو عند الموت، والآخر من يرتاح الناس من شره عند موته، فإذا أردت أن تكون من الصنف الأول، فجدّد إيمانك بالله وولايتك، فأخذ الرجل بنصيحة الإمام الرضا عليه السلام .. ولم تمر لحظات حتى فارق الحياة الدنيا مؤمناً مغفوراً له.

تشييع الجنازة

إن إحدى العوامل المهمة في تقدم الإسلام: الأبعاد الأخلاقية والاجتماعية الفذة التي كانت تتجسد بوضوح في حياة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، خاصة وإن الناس كانوا يتخذون من حياة الأئمة عليهم السلام نماذج حية لتبلور الإسلام في كافة أبعاده.

فأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي التي خلقت أول أمواج التيار الإسلامي في المنطقة العربية وفي العالم كله.. وقد شهد الله سبحانه على عظمة أخلاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام فإنه قاد الحياة بأخلاقه

---

(١) سورة القلم: ٤.

وعلمه..

ومع أن الإمام عليه السلام كان له مقام الإمامة الجليلة، وكانت له سلطة وقيادة ظاهرية، إلاّ أن حياته ومعاشرته بين الناس كانت طبيعية جداً، وبدون أية تجملات، فكان الإمام عليه السلام ينظر إلى الدنيا بعين الزهد والتقوى، وكان عليه السلام تجسيداً حياً لرسالة الإسلام الخالدة.

وهذا نموذج مما ذكر:

فعن موسى بن سيّار[1]، قال: كنت مع الإمام الرضا عليه السلام وقد أشرف على حيطان طوس، وسمعت واعية فاتبعتها فإذا نحن بجنازة، فلما بصرت بها رأيت سيدي وقد ثنّى رجله عن فرسه، ثم أقبل نحو الجنازة فرفعها، ثم أقبل يلوذ بها كما تلوذ السخلة بأمها، ثم أقبل عليّ وقال: «يا موسى بن سيّار من شيّع جنازة وليّ من أوليائنا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه لا ذنب عليه»، حتى وُضع الرجل على شفير قبره، رأيت سيدي قد أقبل فأخرج الناس عن الجنازة حتى بدا له الميت فوضع يده على صدره، ثم قال:

«يا فلان بن فلان أبشر بالجنة، فلا خوف عليك بعد هذه الساعة» فقلت:جعلت فداك هل تعرف الرجل؟ والله إنها بقعة لم تطأها قبل يومك هذا.

فقال عليه السلام لي: «يا موسى بن سيّار أما علمت أنا معاشر الأئمة تعرض علينا أعمال شيعتنا صباحاً ومساءً، فما كان من التقصير في أعمالهم سألنا الله تعالى الصفح لصاحبه، وما كان من العلوّ سألنا الله الشكر لصاحبه»[2].

---

(١) موسى بن سيار الكوفي له كتاب عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج١٢ ص١٦٤ باب وجوب الحذر من عرض العمل على الله ورسوله والأئمة عليهم السلام.

العفو والصفح

العفو والصفح والنبل والإنسانية، يصغر دونها كل موقف.

والإنسان بحاجة إلى خُلُق عظيم، وقلب كبير، وإنسانية شامخة، ليتمكن من الانتصار على حب الانتقام ممن أساء إليه.

وقليلة هي تلك المواقف في التاريخ، ومن أجل هذا خُلّدت وخُلّد أصحابها، فإنهم أدركوا ذروة الانتصار، وتناسوا كل إساءة، وتسامحوا عن كل إهانة.

ولو أردنا أن نتخذ حادثة نتلمّس بها شيئاً من شخصية الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على كثرة مثل هذه الحوادث في سجل حياته الفذة الخالدة، فهذه قصة (ألجلودي) وموقفه.

ففي زمان حكم هارون العباسي وبعد شهادة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام صدرت الأوامر بالهجوم على محلة بني هاشم في المدينة المنورة، وكانت الحملة بقيادة (الجلودي) الذي أوكلت إليه مهمة نهب وسلب بيت الإمام عليه السلام وبيوت العلويين في المحلة المذكورة.

ولكي يؤدي ألجلودي مهمته توجه إلى المدينة مع جلاوزته، ووصل إلى محلة بني هاشم، وحاصر دار الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وكان فيها الإمام الرضا عليه السلام، ولما كان الإمام عليه السلام يعرف أهداف ألجلودي والغاية من مجيئه، فإنه أخذ النساء والعلويات إلى غرفة، فوقف الجلودي بوجه الإمام عليه السلام وقال بأسلوب تهديدي كله خشونة وفظاظة: عملاً بأمر الأمير هارون، أنا مخول بالدخول إلى هذه الغرفة، ومصادرة كل شيء فيها، وعليّ أن أؤدي مهمتي الموكولة لي.

فكان جواب الإمام الرضا عليه السلام له بأن ينتظر في مكانه ويصبر، وأقسم الإمام عليه السلام له بأن يأتي إليه بكل ما عند السيدات من حلي وذهب وألبسة وغيرها.

فرفض الجلودي ذلك، وأراد أن يقوم بعملية التفتيش بنفسه.

لكن الإمام عليه السلام تعهد له بأن يأتي إليه بكل ما هو موجود في الغرفة وما تملكه السيدات.. فاضطر أن يوافق الجلودي على ذلك.

ودخل الإمام الرضا عليه السلام الغرفة، وأمر النساء أن يأتينه بما عندهن من حليّ ومصوغات ذهبية، وملابس حتى الأقنعة التي كن يرتدينها على رؤوسهن، ولم يبق لديهن إلاّ ثيابهن التي يلبسنها، وحمل معه كل أثاث البيت وأعطاها الجلودي، فأخذها الجلودي إلى هارون بعد ما أخذ يعامل الإمام عليه السلام بكل قساوة.

ومرت الأيام حتى دخل الإمام الرضا عليه السلام خراسان كولي العهد للمأمون العباسي، وقد سبق أن المأمون طلب من أتباعه أن يبايعوا الإمام، ومن امتنع عن ذلك أودعه السجن، وكان ممن سجنهم المأمون هو الجلودي.

ولكن بعد يوم من حبس الجلودي تشرف المأمون بلقاء الإمام الرضا عليه السلام ودار الحديث حول المساجين وبضمنهم الجلودي، فطلب الإمام عليه السلام من المأمون أن يطلق سراحهم، ثم أمر المأمون بإحضارهم.

وكان الجلودي يساق نحو المجلس من بعيد، فهمس المأمون للإمام عليه السلام قائلاً: هذا هو الذي هتك حرمات العلويات وبنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام بنهب داركم، لكن الإمام عليه السلام طلب من المأمون أن يطلق سراحه ويعفو عنه.

إلا أن الجلودي بعدائه وبغضه للإمام الرضا عليه السلام ظن أن الإمام يطلب من المأمون أن يعاقب الجلودي، فلما وصل الجلودي إلى المأمون قال له: بالله عليك وبخدمتي لأبيك هارون إلاّ رفضت طلب هذا، وأشار إلى الإمام. فتعجب المأمون من صفح الإمام عليه السلام وخبث الجلودي، فأجابه: أقسم بالله أن لا أقبل

طلب الإمام، فأجازيك، ثم أمر بضرب عنقه[1].

هكذا كان يعفو الإمام عليه السلام عمن ظلمه، وهذه هي الأخلاق الرفيعة العالية التي كان يتحلى بها أهل بيت النبوة عليهم السلام حتى مع المذنبين والحاقدين الذين أساؤوا إليهم.

نعم إن العفو والصفح من أهم العوامل في تقدم ورقي المجتمع، وجذب الناس نحو الإسلام والخير والفضيلة.

وهكذا كان يقود الإمام الرضا عليه السلام الحياة..

وهكذا كان النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم رغم كل ما لاقاه من قريش في بدأ الدعوة الإسلامية، فإنه عند انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عن جميعهم، كما عفى عن (وحشي) قاتل عمه حمزة عليه السلام .. فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد الانتقام ممن أساء إليه، بل كان يريد هدايتهم ..

وعلى سيرته الشريفة وسنته الطاهرة كان أهل بيته الأطهار عليهم السلام ومنهم بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الرضا عليه السلام [2] حيث كان يتجاوز عن أخطاء الآخرين، ويواجه أذاهم بالعفو والإحسان.

❖ وكذلك كان جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب الجمل وصفين والنهروان[3]، فإنه تتجلى مدى عظمة الإمام عليه السلام وسماحته وعفوه فيها، فأهل البصرة الذين قال لهم الإمام عليه السلام في خطبته المشهورة:

«كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة[4]، رغا[1] فأجبتم، وعُقر

---

(١) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٦٦ ب١٤ ح٥.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ستدفن بضعة مني بخراسان... ».

(٣) وهذه هي الحروب المدمرة التي فرضوها على أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته الظاهرية مع الناكثين في حرب الجمل والقاسطين في صفين والمارقين في النهروان.

(٤) يقصد الإمام عليه السلام بالمرأة: عائشة، وبالبهيمة: الجمل.

فهربتم، أخلاقكم دقاق، وعهدكم شقاق، ودينكم نفاق، فاؤكم زُعاق[٢]، المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه، كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله بها العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها»[٣].

نعم عفى الإمام عليه السلام عن أهل البصرة جميعاً، كما صفح عن عائشة وسيّرها إلى المدينة المنورة في جمهور من نساء عبد قيس عممهن بعمائم الرجال وقلّدهن السيوف كي يحافظن عليها[٤].

وقديماً قالوا: (اللذة في العفو لا في الانتقام).

ويقول الشاعر سعدي ما معناه:

إذا كنت تحس باللذة التي في ترك اللذة، لما جعلت لذة النفس لذة أبداً.

❖ وكذلك الإمام الحسن المجتبى عليه السلام حيث عفى عن الرجل الشامي الذي شتمه وسبه، بل أكرمه ولطف به وأنفق عليه وضيّفه[٥].

---

(١) الرغاء: صوت ذوات الخف.

(٢) الزعاق: الماء المر الغليظ الذي لا يطاق شربه.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٤٥ ب٤.

(٤) انظر (كتاب الفتوح) لأحمد بن أعثم الكوفي: ج٢ ص٤٨٧ في ذكر عدد من قتل من الفريقين في حرب الجمل.

(٥) روى العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: ج٤٣ ص٣٤٤ ب١٦ ح١٦، ومن حلمه مارواه المبرد وابن عائشة: إن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن عليه السلام لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن عليه السلام فسلم عليه وضحك فقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شُبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجا أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن

❖ وكذلك الإمام الحسين عليه السلام حتى في يوم عاشوراء، عندما خرج أحدهم وبارز الإمام عليه السلام فلم يمض شيء حتى قطعت رجله وسقط على الأرض لا يقدر على الحركة، فوقف الإمام الحسين عليه السلام على رأسه وسأله: هل تريد شيئاً؟ فقال: نعم ادع لي أهلي ليأخذوني، فنادى الحسين عليه السلام قومه فأخذوه.

❖ والإمام السجاد عليه السلام عفى عن مروان الذي آذى جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وجدّته فاطمة الزهراء عليها السلام وكذلك الحسن المجتبى عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام .. كما هو مذكور في التاريخ، بل وفّر الإمام عليه السلام له ولعياله الحماية عند ما التجأ إليه[1].

❖ والإمام محمد الباقر عليه السلام صفح عن الرجل المسيحي الذي أساء الأدب ونال من أمه الشريفة بقوله: (خدع المطبخ) بل راح الإمام عليه السلام يدعو له بالهداية.

❖ والإمام الصادق عليه السلام تجاوز عن تلك الأمة التي أسقطت ـ لتفريط منها ـ ابناً للإمام عليه السلام من علو فوقع ميتاً، بل إنه عليه السلام أعتقها.

❖ والإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ومواقفه مشهودة، أوردها الفريقان:

يقول الخطيب البغدادي: (إن رجلاً من ولد عمر بن

كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً» فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبته.

(١) انظر (شرح الأخبار) للقاضي النعمان المغربي: ج٣ ص٢٧٤.

الخطاب كان يؤذي أبا الحسن عليه السلام ويسبه إذا رآه ويشتم علياً عليه السلام .. وكان قد قال له بعض حاشيته عليه السلام: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم أشد الزجر، وسأل عن العمري فذكر له انه يزدرع بناحية من نواحي المدينة فركب اليه في مزرعته فوجده فيها فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لا تطأ زرعنا... فجاءه أبو الحسن الكاظم عليه السلام فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟

فقال: مائة دينار.

فقال: فكم ترجو أن يصيب؟

فقال: أنا لاأعلم الغيب . قال :إنما قلت لك ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتي دينار.

فأعطاه عليه السلام ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، فقام فقبّل رأسه عليه السلام وانصرف.

فراح إلى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

وأخيراً فقد ذكرنا نموذجاً من عفو الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ولا غرابة في ذلك فهو من طينة أجداده الطاهرين عليهم السلام، فكان يتغاضى عن سيئات المسيئين ويصفح عنهم.

ولكن الحكومات التي حكمت باسم الإسلام، من قبيل بني أمية وبني العباس والعثمانيين في تركيا، وغيرهم، لم تسر على هذا النهج، بل إنها شوهت صورة الإسلام، وجعلته متهماً لدى الكثيرين.

إن هؤلاء الحكام الطغاة لم يكن من ديدنهم العفو والصفح عن الناس، بل فوق ذلك كانوا يوجهون التهم للأبرياء ويقومون باعتقالهم وحبسهم وتعذيبهم وقتلهم.

---

(١) انظر تاريخ بغداد: ج١٣ ص٣٠ باب الميم.

ولو لم يكن التاريخ يسجل تلك الصفحات الناصعة والمشرقة لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسيرة أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم المعيار والنموذج الأمثل الصحيح للإسلام وحكمه وأخلاقه وتعاليمه، لأصبح الإسلام في خبر (كان)، واتصف بالصفحات السوداء بالقتل الفردي والجماعي، ومصادرة الأموال، والسجون المرعبة، والتعذيب الوحشي، والتجاوز على الناس بأسماء مختلفة، وكبت الحريات ومصادرتها بعناوين متعددة، وجر العلماء والمفكرين بالحبال، وأخذ الضرائب الباهضة الظالمة، والخوض في الحروب المدمرة، وبشكل عام سحق أحكام الإسلام، وباسم الإسلام، ولم يستطع أحد أن يتحدث عن الإسلام وحاكميته وتعاليمه.

والعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام تحملت ما تحملت من التعذيب والسجون وقدموا أرواحهم الزكية، كل ذلك في سبيل نشر التعاليم الصحيحة الإسلامية، كل ذلك ليكونوا حجة للأجيال القادمة، ومثلاً أعلى لهم.

وما أجمل ما أنشده أحد الشعراء[1] عن لسان آل البيت عليهم السلام مبيناً الفرق بين حكمهم العادل وبين حكم بني أمية وبني العباس، حيث قال:

ملكنا فكان العفو منا سجيـــة
ولما ملكتم سال بالدم أبطـح
وحلّلتم قتل الأسارى وطالمـا
غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننـــا

(١) هو الشاعر سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بـ (حيص بيص) كان فقيها شافعي المذهب.

وكل إناء بالذي فيه ينضــح[1]

وهكذا كان الإمام الرضا عليه السلام يقود الحياة بالعفو والصفح نحو الخير والفضيلة.

أخلاقيات

ينقل الرواة عن الإمام الرضا عليه السلام أنه كان يسعى دائماً لقضاء حوائج المحتاجين، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة، وأكثر ما يكون ذلك منه في الليالي المظلمة[2].

وكان الإمام عليه السلام يختم القرآن في كل ثلاث، ويقول: «لو أردت أن أختمه في أقل من ثلاث لختمته، ولكن ما مررت بآية قط إلاّ فكرت فيها، وفي أي شيء نزلت»[3].

وكان الإمام عليه السلام يصلي كثيراً، إنما ينفتل في صلاته ساعة في صدر النهار، وقبل الزوال، وعند اصفرار الشمس، فهو في هذه الأوقات قاعد في مصلاه يناجي ربه[4].

وكان الإمام عليه السلام يجلس مع غلمانه والذين تحت يده ويحدثهم ويتناول معهم الطعام.

---

(١) ولهذه الأشعار موقف لطيف، حيث روي عن الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمخزن وكان من الثقات عند أهل السنة: رأيت في المنام علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ما تم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا، فقلت: لا، فقال: اسمعها منه، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إلي فذكرت له الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد وإن كنت نظمتها إلاّ في ليلتي هذه ثم أنشدني الأشعار. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٢ ص٣٦٤ -٣٦٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٩٧ ب٤٤ ح٧.

(٣) الأمالي، الشيخ الصدوق: ٧٥٨ المجلس٧٦.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص١٩٧ ب٤٤ ح٦.

وكان عليه السلام يبتسم ولم ير ضاحكاً بصوت عال، ولم يكن يقاطع غيره أثناء الحديث، بل يصبر حتى يتم الآخر حديثه، ولم ير مادّاً رجليه الشريفتين مقابل شخص، ولم يتكأ أمام أحد، وكان بيته مفتوحاً لعموم الناس، ويحترم كل أحد[1].

وكان الإمام الرضا عليه السلام يعظ المأمون ويوصيه بتقوى الله، ويحثه على حلّ مشاكل الناس، وكان يقول له: إن على الحاكم أن يكون كالعمود في وسط الخيمة حتى يستطيع كل أحد الوصول إليه[2].

(١) انظر (وسائل الشيعة): ج٨ ص٥٤٧ ب١٢٢ ح١٤.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج٤٩ ص١٦٥ ب١٤ ح٥.

جولة الباطل ودولة الحق

للحق دولة ثابتة، وللباطل جولة مؤقتة، وقد ورد في الأثر: «للحق دولة، وللباطل جولة»، ولهذا نرى للحق وأتباعه المكانة العالية في قلوب الناس، أما الباطل الذي يتوكأ على القدرة المالية أو العسكرية وإن تسلم السلطة لبعض الوقت، لكنه لا يدوم طويلاً، ويطوى في صفحات التاريخ، ولنأخذ مثالاً على ذلك من بني أمية، فإنهم تغلبوا على الأمة وابتزوها بالإمرة عليها بغير رضا الله ورضا الناس، وصاروا يتلاعبون بالشريعة الإسلامية حسب أهوائهم، وجعلوا يتتبعون شيعة أهل البيت عليهم السلام ويقتلونهم تحت كل حجر ومدر، ويأخذون الناس على الظنة والتهمة.

لكن لم يستمر الأمر طويلاً حتى جاء بنو العباس وقضوا على بني أمية، فأخذوا يقتلونهم واحداً بعد الآخر، بل أخذوا ينبشون قبور موتاهم ويخرجون الجثث منها ويحرقونها، ولم يسلم من عقابهم حتى شيوخهم الطاعنين في السن، فكان يجُلدون أمام الناس، أما النساء فكن يؤخذن كأسرى وكجواري.

وهكذا كان الحال بالنسبة إلى بني العباس بعد ما سقطوا، واليوم وبعد مضي قرون من العهد العباسي لا نشاهد ذكراً أو اسماً لهارون والمأمون ومن أشبه إلاّ بالخزي والعار في صفحات التاريخ.

في حين أن أهل البيت عليهم السلام قد خلّدهم التاريخ لفضلهم وعلمهم وأخلاقهم، وسجل لهم صفحات ناصعة مشرقة على مر الدهور والأجيال، وقد شهد لهم أعداؤهم بذلك قبل محبيهم وشيعتهم، (والفضل ما شهدت به الأعداء).

وفي المقابل التاريخ سجل الفساد والشهوات والظلم والطغيان لحكام بني أمية وبني العباس وأمثالهم، وليس ذلك في زماننا هذا فحسب، بل في زمانهم كان الناس ينفرون منهم

ويدعون عليهم ويكرهونهم، ولنأخذ مثالاً على ذلك، من حياة دعبل الخزاعي.

مع دعبل الخزاعي

بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام ودفنه في طوس، مقابل قبر هارون العباسي من جهة القبلة، أنشأ دعبل قصيدته الرائية الشهرية، يصف بها ما أصاب أهل البيت عليهم السلام ويذكر فيها الإمام الرضا عليه السلام بكل اعتزاز، ومن أبياته:

أرى أمية معذورين إن قتلوا
ولا أرى لبني العباس من عذر
أولاد حرب ومروان وأسرتهم
بنو معيط ولاة الحقد والوغر
قوم قتلتم على الإسلام أولهم
حتى إذا استمسكوا جازوا على الكفر
أربع بطوس على قبر الزكي بـــه
إن كنت تربع من دين على وطــر
قبران في طوس خير الناس كلهم
وشر كلهم هذا مـــــن العبــر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت
له يداه فخذ ما شئت أو فـــــذر

وهناك قصائد أخرى لدعبل ذكرها المؤرخون[1].

---

(١) ذكر المؤرخون أنه بعد قتل الأمين في بغداد وبقاء المأمون في طوس التي اتخذها عاصمة له، رشحت حاشية القصر في بغداد عم المأمون المغني المعروف إبراهيم بن المهدي للخلافة، ودعبل الذي كان يرى أن الخلافة لا يصلح لها الأمين ولا المأمون، فكيف بإبراهيم الخليع الفاسق، لم تفته هذه المناسبة الطريفة، فصور الخليفة المغني الموسيقار الملقب بابن شكلة بسخريته اللاذعة

المأمون والجناية الكبرى

كان الإمام الرضا عليه السلام ينظر إلى الحكومة كما نظر آباؤه وأجداده الطاهرون (صلوات الله عليهم)، وكان يرى أن على الحكومة تثبيت القيم وخدمة الرعية، إذ ليست الرعية وسيلة للحكم والسيطرة، بل الحكم لإنصاف الرعية وترسيخ القيم والمبادئ، حكم قوامه العدل، وأساسه الإنسانية، وحليته الشجاعة، أرأيت أجمل وأعظم وأنبل من هذه المبادئ، وبعدها تصور ما شئت من عدل ومبدئية وإنسانية، فإنك لواجد ذلك كله في منهج الإمام الرضا (عليه السلام).

ومن الطبيعي أن هذا النهج لا يروق للمأمون الذي يريد أن

وقارنه بزلزل ومخارق، مغني القصر العباسي وطلب أن يكونا من بعد إبراهيم ولاة عهد، ما دام لم يشترط في الخليفة توفر أية شروط، وهما لا يقلان عن إبراهيم كفاءة فنية إن كان قُدّر أن تحكم المسلمين سلالة من الفنانين والمغنين، فقال:

نفر ابن شكلة بالعراق وأهله فهفى كل أطلس مايـــق
إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخــارق
ولتصلحن من بعد ذلك لزلزل ولتصلحن من بعده للمارق
أنى يكون وليس ذاك بكائـن يرث الخلافة فاسق عن فاسق

ولما وصلت الأبيات للمأمون ضحك وقال: (قد صفحت عن كل ما هجانا به إذ قرن إبراهيم بمخارق في الخلافة وولاة عهده، وعندما تنازل إبراهيم عن الحكم للمأمون، شكى إبراهيم إليه هجاء دعبل له بهذه الأبيات، وسأله أن ينتقم له منه، فأجابه المأمون: وهذا من بعض هجائه◄ ► وقد هجاني بما أقبح من هذا، لك أسوة فيّ، فقد هجاني واحتملته، قال في:

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعـــد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الأوهد

وكان دعبل قد هجا المأمون بعد أن تمزق القناع الذي كان يرتديه أمام الرأي العام بإظهار ولائه وتعاطفه مع الشيعة، فحكم المأمون عليه بالإعدام غيابياً، وأهدر دمه وحاول اغتياله فهرب دعبل واختفى، وكان يقول: إني أحمل خشبتي مذ أربعين سنة ولا أحد من يصلبني عليه.

يكون سبعاً ضارياً على الرعية، يغتنم أُكُلهم، ويرى الإمارة مغنماً ووسيلة لتحقيق المآرب والشهوات الشخصية، وهكذا أخذ المأمون يفكر في القضاء على الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كان يراه تهديداً خطراً لحكمه وسلطنته، إلاّ أنه كان يبحث عن مبررات وسبل لتنفيذ فكرته.

وقد اتخذ المأمون من بعض مواقف الإمام الرضا عليه السلام الشجاعة في سبيل نصرة الحق مبرراً لذلك، وكان من تلك المواقف أنه بلغ المأمون أن رجلاً سرق وألقي القبض عليه، فأمر المأمون بإحضاره فجيء به، وكانت تظهر عليه علامات الفقر، وعلى جبهته آثار السجود!، فالتفت إليه المأمون قائلاً: أنت تسرق مع هذا المظهر الحسن؟

فقال الرجل: سرقت اضطراراً لا اختياراً، لأنك حرمتني حقي.

قال المأمون: وأي حق؟

قال الرجل: حقي من بيت المال، فأنا ابن السبيل، وأنا فقير، وإني أحفظ القرآن، فإذا أردت أن تجري عليّ الحد، فاللازم أن تبدأ بنفسك أولاً، فتجري عليك الحد.

فغضب المأمون من حديث هذا الرجل، والتفت إلى الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: ماذا تقول سيدي؟

فأجابه الإمام عليه السلام: إنه يقول إنك سارق أيضاً، لأنك منعته من حقه الشرعي في بيت المال.

فلم يرتح المأمون لجواب الإمام عليه السلام وقال للرجل: أقسم بالله لأقطعن يدك.

ولم يخش الرجل من تهديد المأمون، وقال له: كيف تجرأ على قطع يدي وأنت عبد لي!

قال المأمون: ويلك من أين أصير لك عبداً؟

قال الرجل: لأنه عند ما اشترى أبوك هارون أمك

مراجل[1] من بيت مال المسلمين، وهو ملك لهم جميعاً، أصبحتَ عبداً لكل المسلمين في المشرق والمغرب، وإذا أعتقك كل المسلمين، فأنا إلى الآن لم أُعتقك.

فغضب المأمون لدى سماع هذا الكلام من الرجل، والتفت إلى الإمام الرضا (عليه السلام) واستفسر منه عن الإجراء الذي يجب اتخاذه بالنسبة إلى الرجل.

فأجابه الإمام عليه السلام: بأن الدنيا والآخرة قائمة على الحجة والبرهان، وأنا أرى الرجل قد حاججك وليس عندك جواب.

فاضطر المأمون على إطلاق سراح الرجل، خلافاً لما كان قد صمّم عليه من قتله.

وربما كانت تهمة السرقة مفتعلة من قبل جلاوزة المأمون لقتل الرجل.

واعتزل المأمون بعد هذه الحادثة أياماً، وفيها أجمع عزمه على قتل الإمام الرضا عليه السلام[2].

---

(١) مراجل أم المأمون وهي إحدى خدامات قصر هارون وقد عهد إليها بطبخ الطعام، ويصفها المؤرخون بأنها كانت أشوه وأقذر جارية في مطبخ هارون، وذكروا أن زبيدة لعبت مع هارون الشطرنج فغلبته، فحكمت عليه أن يطأ أقبح جارية في المطبخ وهي مراجل فأبى هارون ذلك، وبذل لها خراج مصر والعراق لتعفيه، فأبت ولم تقبل وانصاع إلى حكمها فوطأ مراجل فعلقت منه بالمأمون.

(٢) روى الشيخ الصدوق"قدس" في علل الشرائع: ج١ ص٢٤٠ ب١٧٤ ح٢، عن محمد بن سنان قال: كنت عند مولاي الرضا عليه السلام وكان المأمون يقعده على يمينه إذا قعد للناس يوم الاثنين ويوم الخميس فرفع إلى المأمون أن رجلاً من الصوفية سرق فأمر بإحضاره، فلما نظر إليه وجده متقشعا بين عينيه أثر السجود فقال: سوأة لهذه الآثار الجميلة وهذا الفعل القبيح تنسب إلى السرقة مع ما أرى من جميل آثارك وظاهرك، قال: فقال ذلك اضطراراً لا اختياراً حين منعتني حقي من الخمس والفيء، قال المأمون: وأي حق لك في الخمس والفيء؟ قال: إن الله تعالى قسم الخمس ستة أقسام فقال: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**

شمس لا تغرب

غروب الشمس لا يعني انتهاؤها إلى الأبد، بل غروبها يبشر بميلاد جديد.

لكن في منطق الظلمة والمستبدين فإنهم يزعمون بأنهم سيحجبون ضوء الشمس إلى الأبد، ناسين ومتناسين بأنهم بأنفسهم وسلطتهم سيسقطون، وسوف لا يسجل لهم التاريخ غير الذل والعار، وبأنه عند كل صبح سوف تشرق الشمس من جديد مزيحة من أمامها الظلمات.

فالمأمون العباسي بعد أن جلب الإمام الرضا عليه السلام من

يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ (سورة الأنفال: ٤١) وقسم الفيء على ستة أسهم فقال تعالى: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾ (سورة الحشر: ٧) فمنعتني حقي وأنا ابن السبيل منقطع بي ومسكين لا أرجع إلى شيء ومن حملة القرآن، فقال المأمون: أعطل حداً من حدود الله وحكماً من أحكامه في السارق من أجل أساطير هذا؟ فقال الصوفي: ابدأ بنفسك فطهرها ثم طهر غيرك وأقم حداً عليها، فالتفت المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: ما يقول؟ فقال عليه السلام: «إنه يقول سرقت فسرق» فغضب المأمون غضباً شديداً ثم قال للصوفي: والله لأقطعنك، فقال الصوفي: أتقطعني وأنت عبد لي، فقال المأمون: ويلك ومن أين صرت عبداً؟ قال: لأن أمك اشتريت من بيت مال المسلمين فأنت عبد لمن في المشرق والمغرب حتى يعتقوك وأنا لم أعتقك ثم بلعت الخمس بعد ذلك فلا أعطيت آل الرسول حقا ولا أعطيتني ونظرائي حقاً، وأخرى أن الخبيث لا يطهر خبيثا إنما يطهره طاهر، ومن في جنبه الحد فلا يقيم الحدود على غيره حتى يبدأ بنفسه أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (سورة البقرة: ٤٤) فالتفت المأمون إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: ما ترى في أمره؟ فقال عليه السلام: «قل فلله الحجة البالغة وهي التي تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه والدنيا والآخرة قايمتان بالحجة وقد احتج الرجل بالقرآن» فأمر المأمون عند ذلك بإطلاق الصوفي واحتجب عن الناس واشتغل بأبي الحسن عليه السلام حتى سمه فقتله وقتل الفضل بن سهل وجماعة من الشيعة.

المدينة إلى خراسان، وفرض عليه الإقامة الجبرية وبقرب منه، كان يتصور أن إقدامه على قتل الإمام عليه السلام يعني غروب شمسه المشرقة المشعة وخروج حبه من قلوب الناس وإنهاء ذكره الطيب إلى الأبد. وما ذلك إلاّ ليبقى المأمون في السلطة لفترة أطول.

وكانت سياسة المأمون سياسة الغدر والنفاق، فالمأمون الذي احتفل بولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام وأمر بني العباس بارتداء الملبس الأخضر وترك السواد، وضرب اسم الإمام عليه السلام على الدراهم والدنانير، وأمر أن ينوه باسم الإمام عليه السلام على المنابر، هو نفسه الذي صمم أن يقدم على أكبر جريمة وهي قتل الإمام الرضا عليه السلام بوضع السم في العنب أو شراب الرمان، والأغرب من ذلك تظاهره أمام الناس بهيئة العزاء وذرفه الدموع حزناً على الإمام ليخفي جريمته البشعة،

ولكن الناس عرفوا بأنه هو القاتل للإمام عليه السلام.

من هنا وقف المأمون على نعش الإمام عليه السلام قائلاً: سيدي .. أقسم بالله إنني لا أعرف أي المصيبتين أعظم عندي: وفاتك وفراقك، أم اتهام الناس لي بأني قاتلك[1] !.

---

(١) روي عن ياسر الخادم قال: لما كان في آخر يومه الذي قبض عليه السلام فيه، كان ضعيفاً في ذلك اليوم، فقال لي بعد ما صلى الظهر: يا ياسر أكل الناس شيئاً، قلت: يا سيدي من يأكل ها هنا مع ما أنت فيه، فانتصب عليه السلام ثم قال: هاتوا المائدة، ولم يدع من حشمه أحداً إلاّ أقعده معه على المائدة يتفقد واحداً واحداً، فلما أكلوا، قال: ابعثوا إلى النساء بالطعام، فحمل الطعام إلى النساء، فلما فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف، فوقعت الصيحة، وجاءت جواري المأمون ونساؤه حافيات حاسرات، ووقعت الوحية بطوس، وجاء المأمون حافياً حاسراً يضرب على رأسه، ويقبض على لحيته، ويتأسف ويبكي وتسيل الدموع على خديه، فوقف على الرضا عليه السلام وقد أفاق، فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين أعظم علي، فقدي لك وفراقي إياك، أو تهمة الناس لي أني اغتلتك وقتلتك. انظر (الأنوار البهية) للشيخ عباس القمي: ص٢٣٥ في فصل في وفاة الرضا عليه السلام وسببها.

وبعد استشهاد الإمام الرضا (عليه السلام) اتجه المأمون إلى بغداد، واتخذها مركزاً لإقامته وحكومته، وأخذ يلاحق العلويين في كل مكان ويقتلهم، ولهذا يشاهد في إيران والعراق وأفغانستان وفي وسط الجبال والغابات والنقاط البعيدة مراقد ومقابر لأبناء الأئمة وذراريهم (عليهم السلام) الذين استشهدوا على يد جلاوزة بني العباس وماتوا في تلك المناطق غرباء بعيدين عن أوطانهم.

المرقد الطاهر

ومع كل هذا الظلم واغتصاب الحق، وبعد تلك الليالي العباسية الحمراء، تحطمت أسطورة بني العباس ودُفن ذكرهم معهم، ولم يتركوا شيئاً غير الذم، وأخذت اللعنة تطاردهم كل زمان ومكان، وسجل لهم التاريخ صفحات سوداء جراء ما اقترفت أياديهم الملوثة.

وفي المقابل نجد المرقد المطهر للإمام الرضا (صلوات الله عليه) يحتل في قلوب مئات الملايين مكانة لا تضاهى، ويفد عليه الناس من كل مكان للزيارة والتبرك.

وبهذه المناسبة نشير إلى بعض الروايات المأثورة في فضل زيارة الإمام الرضا (عليه السلام)، وقد أوردناه في كتاب (الدعاء والزيارة):

ثواب الزيارة

١: عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ستُدفن بضعة مني بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلاّ أوجب الله له الجنة وحرّم جسده على النار»[١].

٢: قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إن ابني علياً مقتول بالسُّم ظلماً، ومدفون إلى جانب هارون بطوس، من زاره كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

٣: قال الإمام الرضا عليه السلام : «من زارني على بُعد داري، أتيته يوم القيامة في ثلاثة مواطن، حتى أخلّصه من أهوالها، إذا

---

(١) العقد النضيد والدر الفريد، للشيخ محمد بن الحسن القمي: ص٣٢ ح١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٩١ ب٦٦ ح٢٣.

تطايرت الكتب يميناً وشمالاً، وعند الصراط، وعند الميزان»[1].

وفي الختام

نأمل أن يأتي يوم تصبح سيرة أهل البيت عليهم السلام هي الحاكمة على في بلادنا ليعيش الجميع في أمن ورغد وسلام تحت حكومة ألف مليون مسلم إن شاء الله تعالى.

وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدسة
محمد الشيرازي
١٥ محرم ١٤٠٦ هـ

الفهرس

كلمة المؤسسة ٥
مقدمة المؤلف ١٢
المذهب الحق ١٤
عهد هارون العباسي ١٨
الاهتمام بشؤون الأمة ٢١
عهد المأمون العباسي ٢٤
من أهداف المأمون ٢٥

(١) كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه: ص٥٠٦ ب١٠١ ح٤.

خيوط المآمرة ٢٧
حديث سلسلة الذهب ٢٩
القيادة في الإسلام ٣٣
شورى الفقهاء المراجع ٣٣
الحكومات الظالمة والتعامل معها ٣٧
الإمام عليه السلام وبناء المؤسسات ٣٨
مدينة مرو تستقبل الإمام عليه السلام ٣٩
رفض الخلافة ٣٩
ولاية العهد ٤٢
المأمون وسياسة النفاق ٤٦
صلاة العيد ٤٧
من أخلاق الإمام عليه السلام ٥١
مع معروف الكرخي ٥٥
حفظ كرامة الناس ٥٦
في الحمام العام ٥٧
التعامل مع المتكبر ٥٨
عيادة المريض ٦٠
تشييع الجنازة ٦١
العفو والصفح ٦٣
أخلاقيات ٧٠
جولة الباطل ودولة الحق ٧٢
مع دعبل الخزاعي ٧٣
المأمون والجناية الكبرى ٧٤
شمس لا تغرب ٧٧
المرقد الطاهر ٨٠
ثواب الزيارة ٨٠